

الولاء لله



الوحدة الوطنية

قناع لتكوين عبدة الطاغوت

آية الله الشهيد
الشيخ نمر باقر النمر قدس سره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

م محفوظ
بمبع حقون

الطبعة:

الأولى 1439 هـ - 2018 م



مؤسسة الشهيد آية الله النمر العالمية
Ayatullah Al-Nimr International Foundation

إصدار:

مؤسسة الشهيد آية الله النمر العالمية.

الموقع الرسمي لسماحة آية الله الشهيد النمر:

www.sknemer.com

الوحدة الوطنية

قناع لتكوين عبدة الطاغوت

آية الله الشهيد الشيخ نمر باقر النمر قدس سره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

تقريظ سماحة آية الله المجاهد السيد هادي المدرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين

نبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين

النمر شخص وشاخص، ورؤية وبصيرة؛ أمّا شخصه فهو خلقٌ من خلق الله كغيره من البشر، لكن ما ميّزه عن الآخرين ليس فقط ما تعرض له من أذى، ومن ثمّ الذبح على يد أرذل خلق الله عزّ وجلّ؛ وإنّما تميّز أيضاً برؤيته

الصائبة، وهي التي صنعت مواقف، ومواقفه هي التي حوّلتها من شخص إلى شاخص، ومن فرد إلى نموذج، ومن حامل راية العدل إلى أيقونة العدالة.

إنّ بصيرة سماحة آية الله الشيخ الشهيد كانت نتيجة تسليمه لله وإطاعته لأنبائه عليه السلام، ولعلّ الكثيرين فوجئوا بمواقف النمر، وشجاعته، وبتنمره في ذات الله؛ وقد فوجئوا أكثر بإقدام السلطات الظالمة على التعدي على حرمة دمه، فذبحوه من الوريد إلى الوريد على خلفية مواقفه الدينية الشجاعة؛ ولكن مَنْ يقرأ رؤى هذا الفقيه الشهيد لا يُفاجأ بشيء، فالرجل كان مؤمناً: ابتداءً من عبادته، وانتهاءً بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتوليه لله، وتبريه من أعدائه، ثمّ الجهاد في سبيل الله تعالى.

لقد كان إيمانه صادقاً وشاملاً لهذا الدين الذي يقوم على أساس التوحيد، الذي يبدأ بالكفر بالطاغوت، ثمّ الإيمان بالله ربّ العالمين، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^(١)، ومثل هذا الرجل لا بدّ أن يتصدى له الطاغوت، لأنّ التناقض بينهما واضح، وأحدهما ينفي الآخر؛ فشيخ الشهداء كان يُمثّل النور، بينما كان الطاغوت يُمثّل الظلمات، ولا يمكن أن يُجمع بين النور

(١) البقرة، ٢٥٦.

والظلام، ولا الحق والباطل، ولا الخير والشر، ولا الشيخ النمر ولا طاغية آل سعود؛ من هنا فإنَّ موقف الطاغوت منه كان طبيعياً إذ لم يكن متوقفاً من الذي يُنافس الله في رداء الجبروت أن يسكت على رفع الشيخ راية التوحيد في وجهه، خاصةً وأنَّ أوَّل ما دعا إليه الشيخ النمر هو الكفر بالطاغوت كشرطٍ للإيمان بالله.

وإذا نظرنا إلى التاريخ من عهد هاييل وقايل، ومروراً بعهد الإمام الحسين عليه السلام وقاتله يزيد بن معاوية، إلى عهد الشيخ الجليل فإننا نجد الأمور التالية:

أولاً: إنَّ طبيعة الطاغوت هي طبيعة عدوانية، فهو يعتدي على الحقيقة، فيكفر بالله تبارك وتعالى، ويعتدي على الحق، فيصادره من الناس، ويعتدي على مَنْ يرفع راية العدل، فيقوم بذبحه.

ترى هل أنَّ هاييل هو الذي اعتدى على قايل أم أنَّ قايل هو مَنْ اعتدى على هاييل؟ وهل أنَّ إبراهيم عليه السلام هو الذي حاول قتل النمرود أم أنَّ النمرود هو الذي حاول حرق إبراهيم عليه السلام؟ وهكذا إلى يومنا هذا.

ثانياً: إنَّ الشيخ حاول بكلِّ الوسائل أن يُثني الطاغوت عن طغيانه، ويمنعه من الظلم؛ لكنّه لم يجد بُدّاً من أن يُصرِّح بالحق لله، وينادي بمواجهة الطغيان ليس بالسيف، إنّما بالكلمة

التي هي أمضى من السيف، لأنّ السيف يمكن أن يفري اللحم لكن كلمة الحق تُقَطِّعُ أُمَّةَ الشيطان، وتقوِّضُ قواعد الحكم الظالم؛ يقول ربّنا عزّ وجلّ في القرآن الكريم: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾^(١) وقد سلبت كلمات الشيخ الشهيد وخطبه ومواعظه الشرعية من الحكم الظالم في الجزيرة العربية، ولقد علم الطاغوت أنّ عقيدة التوحيد إذا انتشرت بين الناس فلن يقبلوا به حاكماً ولو لساعة واحدة، وكان الشيخ منذ البدايات يقوم بهذه المهمة، وتحمل ما تحمّل حتّى التحق بقافلة الحسين عليه السلام، وذبح كما يُذبح الكبش، وهي الطريقة التي ذبحوا بها سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليهما وآلهما وسلم).

ثالثاً: إنّ الطغيان ليس له حدود، ولا يمكن أن يقف عند حدّ، ولعلّ الكثيرين كانوا يظنون أنّ الغبي الجبان سيكتفي باعتقال الشيخ، وربما بالحكم عليه بالمؤبد، ولعلّ البعض راهن على ذلك، باعتبار أنّ المؤمنين لا يمكن أن يمروا على قتل عالم الدين مرور الكرام، وأنّ الله تعالى سوف يثأر لذلك وهو القائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمُرْصَادٌ﴾^(٢)، إلا أنّ من يدرس طبيعة الظالمين يعرف أنّ ظلمهم لا حدود له، يقول ربّنا: ﴿وَإِذَا

(١) النحل، ٢٦.

(٢) الفجر، ١٤.

بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١﴾، ويقول: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

رابعاً: إنّ ما غفل عنه الطغاة في التاريخ وما زالوا يغفلون عنه هو أن للظلم والطغيان والعدوان عاقبة، فلو أنّ ظالماً من الظلمة في السابق استطاع أن يُفلت من عاقبة ظلمه وطغيانه، فإنّ من الممكن أن يسلم سلمان بن عبدالعزيز من سوء عاقبة قتله الشيخ الشهيد؛ فالله تعالى سوف يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، كما أنّه أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وسوف يبقى دم هذا الشهيد يفور ويفور حتى ينتقم الله من أعدائه.

خامساً: إنّ سماحة الشيخ الفقيه لابدّ أن يتحوّل عندنا إلى نموذج نقتدي به في كلّ مناحي حياتنا، وأهم شيء في ذلك هو أن نستوعب رؤاه وبصيرته لكي نتصرف كما تصرف هو.

ولقد فتح الله للشيخ الباب الخاص للجنة كما لأمثاله من المجاهدين، بعد رفع الشيخ راية الجهاد وظل رافعاً لها حتى سُفك دمه الطاهر، يقول الإمام علي عليه السلام: «فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِحَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ» ﴿٣﴾.

(١) الشعراء، ١٣٠.

(٢) النمل، ٣٤.

(٣) نهج البلاغة، ص ٧٧.

كما أنّ الشهادة التي حظي الشيخ الشهيد بها كانت العاقبة
الحسنة لجهاده الكبير، وهذا مقام لا يحصل عليه إلا المخلصون
من عباد الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا القربان من أتباع أهل
البيت عليهم السلام في هذا العصر، وأن يجعلنا ممن يحملون رايته،
ويحمون رسالته التي أريقَت دماؤه من أجلها.

هادي المدرسي

٣ / ٣ / ١٤٣٧ هـ

تمهید



إنَّ الدعوة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني قد تستبطن في أحشائها أهدافاً جاهلية شيطانية نسجها الطاغوت ليبقى متربعاً على كرسي العرش في بيت العنكبوت، وجائماً على صدر المجتمع مُحمداً لأنفاس الأحرار الذين يأمرون بالقسط والعدل؛ لأن حقيقة الدعوة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي عنوانٌ للترهيب والتخدير، وهي قناعٌ لتكوين عبدة الطاغوت، وهي تمزيقٌ لأمة التوحيد، وليست توحيداً للوطن، وذلك لأن:

أولاً: الوطن فُصِّلَ ويُفصَّل على مقياس الطاغوت.

ثانياً: الطاغوت هو المانع من وحدة الأوطان.

فالمجتمع في المغرب يريد أن يتوحد تحت راية دولة المغرب العربي، وكذلك المجتمع في الهلال الخصيب يريد أن يتوحد تحت راية دولة الهلال الخصيب، وكذلك المجتمع في الجزيرة العربية يريد أن يتوحد تحت راية دولة الجزيرة العربية، وكذلك المجتمع في النيل والحبشة يريد أن يتوحد تحت راية النيل، ومعهم أيضاً مجتمع جزر القمر، وهكذا كل مجتمعات

الدول العربية أجمع تريد أن تتوحد تحت راية دولة الولايات العربية المتحدة، وهكذا هم يريدون مع باقي المجتمعات الإسلامية أن يتوحدوا تحت راية دولة الولايات الإسلامية المتحدة.

ولكن الذي يمنع المجتمعات من الوحدة هو الاستكبار الدولي الذي سيفقد بالوحدة العربية أو الإسلامية قدرته على نهب ثروات العالم العربي أو العالم الإسلامي المتحد، ولكن الاستكبار ليس ذابال، وسيتهاوى لو توحدت إرادة الزعامات التي تحكم الأمم، ولكن المانع الحقيقي والمنيع هم الحكام الطغاة الذين يعبدون كرسي الحكم؛ والوحدة تعني نزول أو سقوط الطاغى من على هذا الكرسي، وهذا ما لا ولن يُسمح لأحدٍ بأن يهمسَ به، فضلاً عن الصبح به، وفضلاً عن منازعته الكرسي، ولو تطلب الأمر أن يحفرَ أحاديث تجري فيها بحيراتٌ من الدماء.

ولم يطالب مجتمعٌ من المجتمعات الإسلامية بالانفصال عن الدولة التي تحكم بلاده إلا بسبب الاضطهاد والظلم والعدوان والبغي والجور والطغيان الذي تمارسه السلطات الحاكمة عليهم من التمييز والحرمان والاستعباد، وسلب الحريات، وتغييب العدالة، وهتك الحرمات، وانتهاك الكرامة الإنسانية.

ومن أجل بيان الرؤية الثاقبة، والموقف الرشيد، والبصيرة القرآنية، والحكم السديد من الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني سيكون الحديث بعد هذا التمهيد عن ستة وعشرين عنواناً وهي:

١. المدخل.
٢. معنى الوحدة.
٣. دواعي الوحدة وأهدافها.
٤. المعيار الشرعي للوحدة.
٥. البصيرة القرآنية لوحدة الأرحام.
٦. البصيرة القرآنية للوحدة الإنسانية.
٧. أقوى العوامل الداعية للوحدة.
٨. البصيرة القرآنية لوحدة الأمة الإسلامية.
٩. البصيرة القرآنية للوحدة المذهبية.
١٠. البصيرة القرآنية لوحدة الأمة المؤمنة.
١١. أكرمية الإنسان وأفضليته على المخلوقات.
١٢. الأصالة والسيادة للقيم الرسالية أولاً وبالذات.
١٣. أهم القيم المعرفية.

١٤. أهم القيم الإنسانيّة.
١٥. أهم قيم الفرد والمجتمع.
١٦. أصالة الإنسان وسيادته على القوانين الوضعيّة والوطن.
١٧. معنى الوطن في اللغة والعرف.
١٨. معنى الوطن في المصطلح الشرعي.
١٩. العلاقة بين هوية الإنسان والهوية الوطنيّة.
٢٠. ما هو المراد من الوطن في الروايات؟
٢١. وقفة تأمل في رواية «حب الوطن من الإيمان».
٢٢. البصيرة القرآنيّة للوطنية والوحدة الوطنيّة والولاء الوطني.
٢٣. الولاء لله ولا ولاء للوطن.
٢٤. الوطنيّة في دولة الرسول ﷺ.
٢٥. الموقف المبدئي بعد وضوح الرؤية الرسالية ومعرفة الحكم الشرعي.
٢٦. مسك الختام.

المدخل

1

إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خلقَ كتابَ التكوين، وخلقَ الإنسانَ وجعلهُ سيِّداً على الكونِ، وأنزلَ كتابَ التَّشريعِ وجعلهُ حاكماً على الكونِ والإنسانِ؛ ومما جاء في كتاب التَّشريعِ:

١. إنَّ للتوحيد الإلهي عنصريين هما العبودية لله، واجتناب الطاغوت؛ ولكننا لم نجتنب الطاغوت، فاختلطت العبودية لله بالعبودية لغيره، ولذلك استبدلنا الذي هو أدنى (الرجس من الأوثان) بالذي هو خير (التوحيد الإلهي).

٢. إنَّ اللهَ تعالى سخَّرَ الأشياءَ للإنسان، وجعلها تابعةً له وطوعَ إرادته، ولكننا عبدنا الأشياءَ وأمسينا أسرى لها.

٣. إنَّ الولاية والحكم جعلُ إلهيَّ حرَّمهُ اللهُ على الجاهل والظالم، وخصَّها بأهل اليقين والصبر، وهم المتقون من الفقهاء الذين يفقهون ثوابت الشريعة، ومتغيرات الحياة السياسية والاجتماعية؛ ولكننا تغافلنا عن الجعل الإلهي، وجعلنا السلطة والحكم للجهلة والظلمة من الناس، وركننا إليهم.

٤. إنَّ المرجعية للتشريعات هي وحي السماء فقط

(الإسلام)، ولكننا أبينا إلا مرجعية تصوّرات وأوهام البشر، وهوى وشهوات السلاطين.

٥. إن الأرض لله وهي لجميع عباد الله، ولكننا قطعناها وسجننا بعضنا بعضاً في قيعة^(١) ضيقة، وسميناها دويلة.

٦. الكرامة حق لكل إنسان مهما كانت عقيدته، ولكننا سحقتنا الإنسانية وكرامتها، واستمرنا^(٢) الذل والهوان وحياة الغاب.

٧. إن الله تبارك وتعالى جعل الناس شعوباً وقبائل مختلفة الألسن والألوان من أجل تكامل البشرية، ولكننا جعلنا الاختلاف للحروب والصراع والنزاع والنهب وتحجيم البشرية وآفاقها.

٨. إن لكل الناس حقوقاً متبادلة باعتبار الأخوة الدينية،

(١) جمع قاع، والقاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حُرّة لا حُرُونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، وقيل الأرض المتسعة المستوية الخالية من العارة والزراعة والأشجار.

ويقصد بها الوطن هنا.

ورد في كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٩، ص: ٣٣٨: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ... فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾: أي ويسألون عن الجبال وعن جريانها يوم القيامة: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا﴾ ويفرقها فيذرها أرضاً مستوية متسعة صافية، وأعمال الكافرين كسراب في أرض مستوية متسعة، ولما كان المراد في الآية الثانية، قاعاً معيناً خارجياً: عبّر بكلمة القيعة، بخلاف الآية الأولى: فيراد منها مفهوم الأصل.

(٢) استطيناه ووجدناه مرثياً.

أو المناظرة^(١) الإنسانية؛ ولكننا قبرنا الأخوة الإيمانية، ومزقنا المناظرة الإنسانية، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «..فَأَتَّهَمُ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ»^(٢).

٩. إنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ أُمَّةٌ واحدةٌ، ولكننا قطعناها زُبْراً، وملَّكناها طغاة السلطة والعلم والمجتمع، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣).

١٠. إنَّ الرابطة الوثيقة للنسب هو التقوى التي أنجبت الأخوة الإيمانية، ولكننا اتخذنا روابط المال والمصالح والوطن^(٤)، فأنجبت التعالي والصراع والمحن.

١١. إنَّ الناس سواسية؛ لا فضل للسانٍ على لسان، ولا للونٍ على لون، ولا لبلدٍ على بلد، ولا لقيعة^(٥) على قيعة، ولا... فلا تفاضل بينهم إلا بالقيم الرسالية من التقوى وثمراتها، ولكننا أشرَبنا قلوبنا زيف سمو اللسان واللون والوطن.

١٢. إنَّ الدنيا دار ممرٍ فانية، والآخرة دار مقرٍ باقية؛ ولكننا عمَّرنا الفاني وخرَّبنا الباقي فخرسناهما معاً.

(١) الماثلة في النوع

(٢) نهج البلاغة، عهد الإمام إلى مالك الأشر.

(٣) المؤمنون، ٥٢-٥٣.

(٤) ويقصد به الوطن التراب أو الدولة بالمعنى الوضعي.

(٥) من قاع ويقصد بها الوطن كما في السابق.

والخلاصة:

إننا اختزلنا الآخرة ونعيمها الدائم، واستبدلناها بالدنيا وكدرها المتفاقم، واختزلنا كلمات وتشريعات الله التي لا تنفذ، واستبدلناها بكلمات وتشريعات البشر، فاخترنا كل الحقائق ونورها المُنْجِم، واستبدلناها بالدعاوي وزيفها المظلم، ثم اخترنا الأمة الإسلامية الواحدة، واستبدلناها ببيعة وطن، ثم اخترنا الوطن في قبيلة أو حزب، لا ينبج إلا رجس الطغاة، وجعلناه إلهاً من الوثن، فلم يغرب عنا طاغِ آسن^(١) إلا واستبدلناه بطاغِ آسن^(٢).

وبمعنى آخر إننا اخترنا الأمة الإسلامية في الوطن، واختزلنا الوطن في الحزب الحاكم أو القبيلة الحاكمة، واختزلنا القبيلة الحاكمة أو الحزب الحاكم في الزعيم الطاغي، وأمست رؤانا ومواقفنا تابعة لهوى الطاغي وأسيرة لشهواته، فلم نحفظ وحدة الأمة، ولم نشيّد الدولة.

(١) أي عفن.

(٢) صيغة مبالغة وتعني أكثر عفونةً.

معنى الوحدة

2

الوحدة^(١): هي الانفراد، وكذلك الواحد والوحيد والأحد والتوحد والتوحيد والمتوحد كلها مشتقة من الوحدة وكلها تدل على الانفراد، قال رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ»^(٢).

وقال لقمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنه: «يَا بُنَيَّ الصَّاحِبُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ»^(٣).

واسم الفاعل للوحدة واحدٌ للمذكر، وواحدةٌ للمؤنث، بمعنى المفرد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالِهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)، أي أن الإله الذي يستحق إفراد العبادة له إله واحد، وليس كمثلته شيء، فلا نظير له ولا مثل ولا ضد، وهو وحده دون سواه الجامع لكل صفات الجلال والكمال والجمال، المفرد عن كل الأشياء؛ ولذلك لا يمكن بل

(١) لغة.

(٢) الأمالي (للطوسي)، ص ٥٣٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٢٨.

(٤) البقرة، ١٦٣.

يستحيل أن يتعدد أو يتجزأ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ
إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾^(١).

أي أن الأمة الإسلامية التي جعلها الله تعالى كياناً جامعاً
للمؤمنين متميزةً ومنفردةً عن كل الأمم هي أمة واحدة،
اندكت فيها كل الفروقات بين أفرادها الذين ذابوا في بوتقة
منظومتها الرسالية؛ فهي جامعة لكل الأفراد المؤمنين، منفردة
عن كل الأمم، فلا يمكن أن تتعدد إلى أمم، أو تتجزأ إلى
دويلات.

وفلانٌ واحد دهره أي لا نظير له، وهو واحد قبيلته إذا لم
يكن فيهم مثله، قالت العرب:

يا واحد العرب الذي

ما في الأنام له نظير^(٢)

ويقال حي واحد ووحيد أي منفرد، ويقال رجل واحد
ووحيد ومتوحد أي منفرد؛ وكان رجلاً متوحداً أي منفرداً لا
يخالط الناس ولا يجالسهم، ورجل وحيد: لا أحد معه يؤنسه.
والوحيد بُني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من

(١) الأنبياء، ٩٢-٩٣.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، ص ١٨٠.

طريق بينوته عنهم، وَحَدَ يَحْدُ وَحَدًا، وحدة، أي انفراد، تقول رأيته وحده وجلس وحده أي منفرداً، كأنك قلت أوحده برؤيتي إيجاباً أي لم أر غيره، ويحتمل أيضاً أن يكون الرجل في نفسه منفرداً كأنك قلت رأيت رجلاً منفرداً انفراداً.

وتوحد برأيه: تفرّد به.

والتوحيد: الإيـان بالله وحده لا شريك له، وإفراد الله بالعبودية.

والله الواحد الأحد الأوحـد المتوحد ذو الـوحدانية والتوحد: أي الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، والهـمزة في الأحد بدل الواو، وأصله وَحَدَ لآنه من الـوحدة؛ ولا يوصف شيء بالأحدية غير الله، وفي الحديث: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، شَرُّ أُمَّتِي الْوَحْدَانِيُّ الْمُعْجَبُ بِدِينِهِ الْمُرَائِي بِعَمَلِهِ»، يريد بالوحداني المفارق لجماعة الحق، المنفرد بنفسه، وهو منسوب إلى الـوحدة: أي الـانفراد، بزيادة الألف والنون، للمبالغة^(١).

والخلاصة:

الوحدة هي: الاجتماع والـانفراد؛ اجتماع الأشياء إلى درجة اندكاكها وذوبانها في بوتقة واحدة، وانفرادها وتمايزها عن

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج ٣، ص ٤٥١.

الأشياء الأخرى؛ والاجتماع يكون تحت أمر جامع يَعْتَقِدُ به المتحدون ويؤمنون به، أو يُكَوِّن رابطةً بينهم، أو يشتركون فيه، مما يدعوهم للاتحاد تحت هذا الأمر، أو يسعون لتحقيقه؛ وينفردون ويمتازون به عن غيرهم، والأمر الجامع قد يكون فكرةً أو عُلُقَةً أو شعورًا أو مصلحةً.

والوحدة يقابلها الفرقة والشركة، والتوحد يقابله التفرق والتشارك، والتوحيد يقابله التفريق والتشريك، والمتحد يقابله المتفرق والمشارك، والاتحاد يقابله الافتراق والاشتراك.

فللوحدة البشرية أو الأمة أو الوطن أو العشيرة أو الحزب شرطان، ولا يمكن بل يستحيل أن تتحقق الوحدة ما لم يتوفرا، وهما: الاجتماع على أمر جامع بين الأفراد، وانفرادهم بما يمتازون به عن غيرهم من الأفراد الآخرين.

دواعي الوحدة وأهدافها

3

لابد من دواعٍ -مشروعة كانت أو لم تكن مشروعة- تدعو جمعاً من الناس للاتحاد تحت عنوانٍ أو مسمًى يجمعهم مع بعضهم، ويُفردهم ويميّزهم عن الآخرين؛ فيعبّر هذا الاتحاد عن اجتماعهم على أمر يجمعهم، وعن تميّزهم وانفرادهم؛ كداعي العقيدة أو الفكر أو العُلقة الرحمية أو المناظرة^(١) الإنسانية أو اللغة أو اللون أو حدود أرض جغرافية أو وجود عدو لهم جميعاً.

ولابد من هدف أو أهداف -مشروعة كانت أو لم تكن مشروعة- توحد جمعاً من الناس لبلوغه وتحقيقه؛ كبناء قوة تردع الأعداء، أو بناء قدرة تضاعف الإنتاج، أو تكوين نسيج متجانس يمنع العداوة والشقاق، أو تحقيق مصلحة مشتركة. أو لابد من حدوث أمر اتفاقي لواقع ما على شيء يجعلُ الناس متوحّدين حوله، كعبودية غير الله بطاعة الطاغوت.

فهذه هي العناصر التي تحقّق مفهوم الأُمَّة الواحدة في الخارج بعيداً عن شرعيتها وعدم شرعيتها، ولا شك أنّ لكلِّ

(١) المائلة في الإنسانية.

من هذه العناصر من الدواعي والأهداف والأمور الاتفاقية تأثيراً في تحقيق الوحدة النسبية بين الأفراد، كما أنّ لها قبل ذلك دوراً وتأثيراً في نشوء الإنسان وتربيته وتفكيره؛ لأنّ الإنسان مركّبٌ من عقل وشهوة، وهو مخلوقٌ اجتماعي وفردى، فلا يعيش منعزلاً في حياته عن الشؤون المادية وخواصها وآثارها، وهو في نفس الوقت له ذاتياته وخصوصياته التي يميّز بها عن غيره.

المعيار الشرعي للوحدة

4

ما هو الداعي الذي يُشَرِّع لنا - أو لا أقل - يدعونا إلى
الوحدة الرحمية؟

أو الوحدة الإنسانية؟

أو الوحدة الوطنية؟

أو وحدة الأمة الإسلامية؟

أو ما هو الأمر الجامع الذي يعتقده دعاة الوحدة
ويؤمنون به؟

أو ما هو الأمر الجامع الذي يُكَوِّن رابطةً بينهم، أو
يجمعهم تحت مظلة هذه الوحدة؟

إنَّ التشريع الإسلامي جعل معياراً وحيداً لشرعية الوحدة
فإذا تحقق كانت الوحدة تحت مظلته مشروعة ومباركة، وما
سواه^(١) لا شرعية له.

والمعيار الشرعي الوحيد للوحدة المشروعة هو أن تكون
الصبغة العامة للوحدة والاتحاد هي التقوى والرضوان الإلهي

(١) أي المعيار.

الذي يتجسد في الاعتصام بقيم الرسالة وقيادة السماء، وليس هوى الإنسان، أو شهوات الناس، أو تصورات البشر.

إذن فلا شرعية لأي وحدة ما لم تقم على أساس التقوى، ولا يجوز للمؤمن أن يشارك فيها، ومثل تلك الوحدة سيكون مصيرها ونهايتها الانهيار في زوبعة الصراع ودوامة الأزمات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُيُوتَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

فكلّ وحدة إن لم تؤسس على أساس التقوى والرضوان الإلهي ستؤدي إلى العداوة؛ وهذه النتيجة نقيض الهدف من الوحدة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

(١) التوبة، ١٠٧-١١٠.

(٢) الزخرف، ٦٧.

ولذلك أمرت الشريعة بتشديد الوحدة على أساس حبل الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، ولقد تجسّد حبل الله تعالى في كتاب الله، وعترة النبي ﷺ.

إنّ السبيل الوحيد لتحقيق إنسانية الإنسان وكرامته هو اتّباعه لإرشادات عقله، وتسليمه لوحي السماء؛ وذلك بالتزامه بما يعتقد من الرؤى الرسالية، والأفكار الإسلامية، والمعارف الإلهية، والمبادئ السماوية التي تُستوحى من وحي السماء وإرشاد العقل، وهذه العقيدة يتمكّن الإنسان من السيطرة على نفسه وما تفرزه من مزاج مضطرب وميول مُعوجّة.

وهذه العقيدة -بما تحوي من رؤى وأفكار ومعارف- تُروّض النفس، وتُطهّر الروح من أدران الهوى وشوائب الشهوات، وتُزيل الحجب والرّين عن القلب، وتملأه بالنور الإلهي الذي يخترق كلّ الحجب، ليكشف عن الحقيقة وعن التجلي الإلهي لعباده.

وهذه العقيدة الحقّة يتمكّن الإنسان من التحكّم في مسار حياته ومسيرتها، وهذه العقيدة يمتاز الإنسان عن سائر

(١) آل عمران، ١٠٢-١٠٣.

الحيوانات التي لا تكتسب قيمتها إلا من مكونات بدنها وقواها المادية ليس إلا.

والعقيدة بما هي منظومة متكاملة من الرؤى الرسالية، والأفكار الإسلامية، والمعارف الإلهية، والمبادئ السماوية هي أعز وأغلى الأشياء لدى الإنسان، ومن أجلها يضحي بكل شيء ومن دون استثناء شيء.

والعقيدة هي التي تحدّد وتعيد تشكيل تفكير الإنسان، وأهدافه وتطلعاته، وكيفية علاقاته وسلوكياته، وكل ما يرتبط بحياته، ولذلك نرى ونشاهد التشاجر والتناحر والحروب التي تصل إلى الأوج المدمر في بعض الأحيان حيث تصل إلى حرب إبادة واستئصال لمواطنين وُلِدُوا على أرض واحدة واشتركوا في جميع العناصر المادية ولكنهم اختلفوا في العقيدة والفكر والرؤى.

وفي المقابل نرى ونشاهد أناساً اختلفوا في الوطن واللون واللغة وغيرها من العناصر المادية، ولكنهم متحابون متجاذبون كأئهم روح واحدة في أجساد مختلفة، لأنهم اتفقوا في العقيدة الإيمانية، والعلاقات الروحية، والأفكار الإسلامية، والرؤى الرسالية.

فالوحدة في العقيدة الإيمانية التي تكوّنت على أساس وحدة الأفكار الإسلامية، والرؤى الرسالية، والمعارف الإلهية،

والمبادئ السماوية هي القادرة دون غيرها على جمع أفراد الإنسان في أمة واحدة، تنتظم فيها جميع القيم الروحية، والمبادئ الإيمانية، والفضائل الإنسانية، والضرورات الحياتية. ولأجل ذلك حَكَمَ الإسلام بوحدة الأمة الإسلامية، وأخوة المؤمنين بما هم مؤمنون يتحلّون بفضيلة الإيمان والتقوى، ولا يرى للامتيازات المادية من وحدة الوطن أو الجنس أو اللغة أو اللون أو أي عنصر آخر قيمةً أو فضيلةً أو ضرورةً للإنسان، لأنّها لا تحوي قيمةً روحيةً، ولا مبدأً إيمانياً، ولا فضيلةً إنسانيةً، ولا ضرورةً حياتيةً.

إنّ الأمة الإسلامية الواحدة لا تخضع للجغرافيا ولا للتاريخ ولا للمكان ولا للزمان ولا للون ولا للغة، ولا تخضع للظروف ولا الموضوعات؛ فوحدة الأمة الإسلامية تتجاوز كلّ هذه المعوّقات، وهي حاکمة عليها، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ولقد أجاد الشاعر حين قال:

كُلُّ أَرْضٍ بِهَا الْإِسْلَامُ لِي وَطَنٌ
وَكُلُّ أَرْضٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَلْقَانِي
وَحَيْثَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي بَلَدٍ عَدَدْتُ
أَرْجَاءَهُ مِنْ لَبِّ أَوْطَانِي

وكلمة الفصل هي، أن الوحدة المشروعة هي التي تُشَيِّدُ على أساس الفكر الإسلامي الأصيل الذي بين دفتي القرآن الكريم، تحكمها صبغة التقوى، ومرجعيتها وحي السماء، وهو حبل الله الذي تجسّد في القرآن الحكيم، وإمامة أهل البيت عليهم السلام، ودليلها العقل الذي تحرّر من كلّ الأصار^(١) المادية، وثمرتها الأخوة الإيمانية الصادقة.

وهذا لا يتنافى مع تشييد علاقات وثيقة على أساس النظارة في الخلق، والمماثلة الإنسانية؛ تحكمها المشاعر والأحاسيس والروح الإنسانية المشتركة، ومرجعيتها الفطرة الإنسانية التي لم تُلوّث بالروح السَّبْعِيَّةِ العدوانيَّةِ، ولا بالروح البهيميَّة الشهوانيَّةِ، ودليلها العقل المنفتح، والعاطفة الرشيدة، وثمرتها

(١) الأصار جمع إصر: ثقل الموثق وإثم العهد. أي الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن فعل الخيرات.. وهي بمعنى: عقد الشيء وحبس بقوة، يقال: أصرته فهو مأصور، والمأصر والمأصر: محبس السفينة.

قال الله تعالى ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ أي: الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثواب.

التكافؤ والنظارة الإنسانية في التعاطي والسلوك والعلاقات الإنسانية.

يقول الإمام علي عليه السلام: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً»^(١) ضَارِباً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ»^(٢).

إنَّ التشريع الإسلامي يُفَرِّقُ وَيَفْصِلُ بين أمرين: بين العقيدة الإيمانية، وهي الأساس لتشييد وحدة الأمة الإسلامية؛ حيث يختارها أو يرفضها الإنسان بكامل إرادته واستقلاله، مع ما لها من تمايز واختلاف وتناقض عن بقية المعتقدات الفكرية الأخرى، وبين الطبيعة الإنسانية وهي الأساس لبناء العلاقات الإنسانية، حيث جُبِلَ عليها الإنسان، ولا يمكنه الانفصال عن أصول وجذور طبيعته لما لها من وجود متأصل ومتجذّر ومشارك في طبيعة كل إنسان، فلا وحدة إلا تحت مظلة التقوى والاعتصام بحبل الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٣).

(١) سبعا أي وحشا.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٣) الكافرون، ١-٦.

فلا يجوز اللين أو التراخي أو الميوعة أو التنازل أو الحلول الوسطية أو المتلونة أو المرقعة أو الاسفنجية في الأمور الفكرية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَذُوا لَوْتُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^(١).

أما في أمور العلاقات الإنسانية والسلوك فينبغي اللين، واختيار أحسن التعامل وأفضل المعاشرة من كظم الغيظ والعفو والصفح والإعراض عن الجاهلين والإحسان والتعاون على الخير والصلاح.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

(١) القلم، ٨-٩.

(٢) آل عمران، ١٥٩.

(٣) المؤمنون، ٩٦.

حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢).

(١) فصلت، ٣٤-٣٥.

(٢) الرعد، ٢٢.

البصيرة القرآنية لوحة الأرحام

5

إنَّ التشريع الإسلامي أولى العلاقات الرحمية أهميةً قصوى، وشرَّع منظومةً متكاملةً من الأحكام والنظم لتوثيق العلاقة الرحمية، وما أحكام الإرث إلا غيْضٌ من فيض الأحكام المتعلقة بتوثيق العلاقة الرحمية التي بلغت في علو درجاتها أن تكون لها الأولوية على المهاجرين والأنصار مع ما للمهاجرين والأنصار من مكانة سامية، ودرجاتٍ عالية في تشييد صرح الإسلام، وقيم الرسالة، ومبادئ السماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿التَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(١).

وأوجب التشريع الإسلامي صلة الرحم، وربطَ رحمة الله تعالى بصلة الرحم، وحرَّم قطيعة الرحم، وجعلها من الكبائر، ونقضاً لعهد الله الذي استوثقه على العباد؛ كما جعل صفة العقلاء الوفاء بعهد الله تعالى، وعدم نقضهم لميثاق صلة الرحم، وأما من يقطعون ما أمر الله بوصله -كصلة الرحم-

(١) الأحزاب، ٦.

فأولئك هم الخاسرون، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّ مَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٣).

ولكن مع كل هذه الأهمية التي أولاها التشريع الإسلامي للعلاقة الرحمية، تبقى شرعية هذه العلاقات في حدود العلاقات والروابط الإنسانية والسلوكية، ولا تصل إلى الوحدة الرحمية المشروعة إلا في حالة واحدة فقط، وهي الوحدة الرحمية التي تنطلق من مظلة العقيدة الإسلامية، لتصل إلى وحدة الأمة الإسلامية، ومن أجل تمتينها وتصلبها، كما هي وحدة الأنصار وكذلك وحدة المهاجرين، ولا يجوز أن تكون وحدة

(١) البقرة، ٢٧.

(٢) الرعد، ٢٥.

(٣) الرعد، ١٩-٢١.

الرحم في مقابل وحدة الأمة الإسلامية أو ما ينافيها.

ولذلك لا تجوز الوحدة الرحمية في غير هذه الحالة، لافتقارها إلى التقوى والاعتصام بحبل الله؛ ولذلك أعطى التشريع الإسلامي، بل أوجب على الأولاد الاستقلال الفكري، ولم يُجْز لأحد طاعة أحد في فكر الضلال، ولو كان أباً أو أمّاً فضلاً عما هم دون الأبوين من الأرحام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

نعم يجب عليه أن يحافظ على حسن العلاقة والمعاملة، ومعروف الصحبة؛ فهو مستقل في فكره وتفكيره، ولكن يجب عليه الصحبة بالمعروف.

وخلاصة العلاقة الرحمية هي الاستقلال في الفكر، والمعروف في الصحبة؛ ولكنها لا تصل إلى الوحدة الرحمية إلا كعتبة في سلم الأمة الإسلامية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(١) العنكبوت، ٨.

(٢) لقان، ١٥.

من الطبيعي أن يُحِبَّ الإنسانُ أهلهُ ورحمتهُ وعشيرته، لأنَّه مفضوٌّ على الحب، وبالأخص حبَّ الأرحام، ولكن لا يجوز أبداً أن يكون حبَّ الأرحام مانعاً، أو حائلاً بين الإنسان وبين القيم الرساليَّة؛ ومن الطبيعي أن يدافع الإنسان عن عشيرته، بل خير الناس مَنْ يدافع عن عشيرته، ولكن لا يجوز له أن يرتكب ظلماً أو إثماً دفاعاً عن عشيرته.

قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْتُمْ»^(١).

وسئل: ما العصبية؟

قال ﷺ: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ»^(٢).

إنَّ التشريع الإسلامي نهى وحرَّم تحريماً مُغلظاً تقديم علاقة الرحم على علاقة القيم الرساليَّة، والمبادئ السماويَّة، فمتى ما تعارضت العلاقتان وجب تقديمُ علاقة العقيدة على العلاقات أجمع.

بل يجب قطع علاقة الولاية مع الرحم إذا استحبَّ الرحمُ فكر الضلال والكفر على فكر الهدى والإيمان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ

(١) نهج الفصاحة، ص، ٤٧٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٩٩٢.

هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

إن الذين يقيمون علاقة ولاية مع من غضب الله عليهم كالطغاة، وهم أبرز أفراد المغضوب عليهم ينفصلون حقيقة عن الفئة الرسالية، والمجتمع الإيماني، وعن أرحامهم المؤمنين، لأنهم تنكروا لثقافة الرسالة، ومبادئ السماء التي توجب تجنب الطاغوت والكفر به، وهم مع ذلك الخروج من حظيرة المؤمنين إلا أنهم ليسوا بجزء من كيان الطاغي، لأن الطاغي لا يريدهم ولا يعترف بهم، لأنه لا يثق بهم ولا يطمئن لهم، وإنما يستخدمهم كأدوات لشق الصف الرسالي، وتمزيق الجماعة المجاهدة بعد أن جرّدهم من لباس التقوى والرسالة والجهاد، ولذلك يقبعون في دائرة الخداع وزوبعة النفاق، فلا هم من المؤمنين ولا هم من الطغاة؛ ولذلك يتصفون بالكذب والتمظهر بسلوكيات المؤمنين، ويتصورون أنهم بعلاقتهم مع الطاغوت وخداعهم للناس بالأيان الكاذبة والتمظهر بالإيمان أنهم يملكون المنهج الذي يُصلح المجتمع، ولكن الحقيقة أنهم هم الكاذبون.

ولقد استحوذ الشيطان على فكرهم، وسيطر على سلوكهم، وهيمن على حياتهم، ولذلك ينسون ويتناسون قيم الرسالة ومبادئ السماء، وينتهي بهم المطاف إلى الانتماء إلى حزب الشيطان لأنهم يجهلون السُّنَّةَ والمعادلة الإلهية التي تُرَكِّسُ^(١) الطغاة، ومَنْ يعادي قيم السماء وقيادة الرسالة في قعر الأذلين، وأن الغلبة لقيم السماء، وقيادة الرسالة، ولذلك لن تجد قوماً مؤمنين بسُنَّةِ الله، وقيم السماء يجنون أحداً مَن يعادي قيم السماء وقيادة الرسالة، ولو كان المعادي آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، لأن الإيمان الراسخ في قلوبهم يَحُولُ بينهم وبين حب رحمتهم المعادين لقيم الرسالة وقيادة السماء، ولذلك لن تكون هناك وحدة رحم مشروعة في مقابل الرسالة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَن تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ

(١) رَكَسَهُ: رَدَّهُ وَقَلْبَهُ.

الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي
الْأَذْيَانِ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

ولقد ذمّت الشريعة الإسلامية التفاخر بالأنساب، وذلك
لمحو الفروق المصطنعة بين أفراد الأمة الإسلامية، ولتوكيد
التكافؤ في الدم والنسب، والتساوي في الحقوق والواجبات،
ولصيانة الأخوة الإيمانية، ووحدة الأمة الإسلامية، لأنّ أبوة
آدم وحواء جمعت أعقابهما كلهم في دثار واحد سواء، فلا
يجوز لأحد أن يُفضّل أحداً على أحدٍ إلاّ بميزة تفضيلٍ من
التقوى والعلم والجهاد والسبق للخير يُجرزها لنفسه بسعيه
وجده، فمنّ لا فضيلة له يمتاز بها بعمله وسعيه لم ولن تنفعه
عشيرته ولا أسلافه ولو كانوا ملوك الآخرة.

قال رسول الله ﷺ :

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا،
وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: فَلَنْ بِنُ

فُلَانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ»^(١)، وهذا مستوحى ومُستنبط من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(٢).

وهذا المرض المقيت متجذر في الشعوب العربيّة التي ما فتئت تُحكّم العرق العشائري، والقوانين القبليّة على القيم الرساليّة، والأحكام الشرعيّة.

فالتقاليد والعادات العربيّة قائمة على الاستعلاء بالنسب، وبالخصوص في المجتمع القبلي الذي يقدر هذه العادات وتلك التقاليد ويقدمها ويجعلها حاكمةً على وحي السماء وقيم الرسالة وتعاليم الإسلام، ولذلك ظلت المجتمعات العربيّة تعيش في سبات التخلف والتبعية والاستعباد للآخر، بينما نجد أنّ الإسلام قد تجاوز هذه السفاهات الجاهلية والأمراض المعرفيّة والجهالة السلوكية التي أحدثت الفتوقات والتصدعات الواسعة والخطيرة في الماضي والحاضر، وما زالت.

(١) التفسير المظهرى، للمظهري، محمّد ثناء الله، ج٩، ص ٥٧، وأورد صاحب بحار الأنوار، (ط: بيروت)، ج٦٧، ص ٢٧٨، الرواية بلفظ: «وفي المجمع عن النبي ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة: أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعتم أنسابكم؛ فالיום أرفع نسبي، وأضع أنسابكم».

(٢) المؤمنون، ١٠١-١٠٤.

البصيرة القرآنية للوحدۃ الإنسانيۃ

6

إن العلاقات الإنسانية التي تنبثق من منطلق الشعور الإنساني والطبيعة الإنسانية علاقات قائمة لا يمكن لأحد الانفصال عنها فضلاً عن تفكيكها، لحاكمة المشاعر والأحاسيس والعواطف الإنسانية في المجمل -وهي مشتركة- على تفكير وسلوك الإنسان.

أمّا الوحدة الإنسانية من منطلق الفكر البشري: فلقد كانت البشرية في زمنٍ ما أمةً واحدةً على الضلال والإيمان بالطاغوت، والتسكع في زريته^(١)، وعبادة العباد، وطاعة الطواغيت، وولايتهم من دون الله تعالى؛ إلا أن هذه الوحدة تفككت ويستحيل عودتها، ولن تتحد البشرية إلا على فكر التوحيد في دولة الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه الشريف- دولة العدل المطلق، والقسط العام، والحرية الشاملة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ حَكَمَ بِالْعَدْلِ، وَارْتَفَعَ فِي أَيَّامِهِ الْجَوْرُ، وَأَمْنَتْ بِهِ السُّبُلُ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا، وَرُذِّ كُلُّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ»^(٢).

(١) الزَّريَّةُ : حظيرةُ الماشية.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨.

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي فكَّك الوحدة الإنسانية التي نشأت على فكر ونهج الضلال، الفكر الذي جرّد البشرية من إنسانيتها، وحوّلها إلى بهائم تعلق، وعبيد تخنع لأمثالها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١).

إذاً كان الناس أمة واحدة في غابة الضلال والإلحاد، فبعث الله الرسل ليبينوا للناس غي الطاغوت، وظلمات الكفر والضلال والإلحاد، وليهدوا إلى رشد الإيمان بالله عزّ وجلّ، ونور الإسلام والهدى والتوحيد لإخراج العباد من سلطة وعبادة وظلمات الطاغوت إلى نور الله، وعبادة الله وحده من دون إكراه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

ولمّا بعث الله عزّ وجلّ لكلّ أمة رسولا لإخراجهم من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله وحده هنالك مَنْ استجاب للرسول وخرج من ظلمات الطاغوت إلى نور الله، وهنالك مَنْ

(١) يونس، ١٩.

(٢) البقرة، ٢٥٦-٢٥٧.

تَظِنَّ ثُمَّ تَحْجِرُ فِي ضَلَالَةِ الطَّاعُوتِ وَمَسْتَنْقَعِ طَغْيَانِهِ، يَقُولُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾^(١).

فبركة بعثة الأنبياء ﷺ اختلفت البشريّة، وتفكّكت وحدتها القائمة على الضلالة، وتفرّق اجتماعها المتحد على الظلمات؛ فأنزل الله تبارك وتعالى شريعة السماء لتوحيد واجتماع مَنْ أَرَادَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَبِحَرِيَّتِهِ وَاخْتِيَارِهِ تَحْتَ رَايَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ صَادِقًا خَرَجَ مِنْ شَرِذْمَةِ الْاِخْتِلَافِ، وَدَخَلَ فِي خِيْمَةِ الْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، بِشَرَطِ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ تَحْتِ عِبَادَةِ طَوَاغِيَتِ الْعُلَمَاءِ وَطَوَاغِيَتِ الْحُكَّامِ الَّذِينَ يَرْتَقُونَ عَلَى جِهَامِ النَّاسِ، وَيَشْعَلُونَ الْحُرُوبَ مِنْ أَجْلِ نَزْوَةِ الزَّعَامَةِ وَشَهْوَةِ الْمُلْكِ وَهَوَى السُّلْطَةِ، وَلَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ سَهْلًا، وَلَا الطَّرِيقُ مَعْبَدًا لِلْخُرُوجِ وَالْمَسِيرِ بَلْ هُوَ مَلِيءٌ بِأَشْوَاكِ الضُّغْطِ الْأَمْنِيِّ، وَأَشْوَاكِ الْبُؤْسِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَأَشْوَاكِ الضَّرِّ الْجَسَدِيِّ، مِنْ سَجْنٍ وَتَعْذِيبٍ وَمَطَارِدَةٍ، وَأَشْوَاكِ الضَّرِّ النَّفْسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ، بَلْ وَأَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ أَشْوَاكِ التَّزَلُّزِ وَالاضْطْرَابِ النَّفْسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالاِقْتِصَادِيِّ وَالْأَمْنِيِّ وَالْأَسْرِيِّ وَهَكَذَا بَقِيَّةُ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ وَأَبْعَادِهَا؛ حَيْثُ تَتَزَلُّزُ وَتَضْطَرُّبُ، فَلَا رَتَابَةَ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا رَوْتِينَ فِي الْأَعْمَالِ،

ولا استقرار في أبعاد الحياة أجمع، وحين ذلك تلوح رايات النصر مقتربة من المؤمنين الذين ما وهنوا وما استكانوا، بل استلانوا ما استوعره الناس، وتخطوا كل العقبات، وتحمّلوا الجراح والآلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١).

فكل وحدة وكل اجتماع تحت فكر الضلال أو عبودية الطاغوت مرفوضة ومحرمة ويجب تفكيكها وتفريقها، فلا شرعية لأي وحدة فكرية إلا تحت لواء الهدى، بل اللجنة مشروطة بالجهاد لتفكيك وتفريق وحدة الضلال، وإخراج العباد من عبادة الطواغيت وطاعتهم وولايتهم إلى عبادة الله وطاعته وولايته وليس إخراجهم من عبادة وطاعة وولاية عبد أو حاكم إلى عبد أو حاكم آخر مثله.

كتب الإمام الباقر عليه السلام في رسالة إلى بعض خلفاء بني

(١) البقرة، ٢١٣-٢١٤.

أَمِيَّة: «وَمَنْ ذَلِكَ مَا ضَيَّعَ الْجِهَادَ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَفَضَّلَ عَامِلُهُ عَلَى الْعَمَالِ تَفْضِيلاً فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الدِّينُ، وَبِهِ يُدْفَعُ عَنِ الدِّينِ، وَبِهِ اشْتَرَى اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ بَيْعاً مُفْلِحاً مُنْجِحاً، اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ فِيهِ حِفْظَ الْحُدُودِ، وَأَوَّلَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ^(١) إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ طَاعَةِ الْعِبَادِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَإِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، وَلَيْسَ الدُّعَاءُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدٍ إِلَى طَاعَةِ عَبْدٍ مِثْلِهِ»^(٢).

إنَّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على توحيد البشرية تحت راية التوحيد الإلهي الخالص جبراً وإكراهاً، ولكن الله شاء للعباد سنَّةَ الابتلاء، وأعطاهم الحرية والاختيار لاتباع شريعة الإسلام ونور العقل ووحى السماء ومنهج الرسالة، أو لاتباع شريعة الجهل وظلمات الهوى وتصوِّرات البشر ومنهج الضلالة، كما بيَّن وميَّز الله تعالى لعباده الرشد بالإيمان بالله من الغي بالاستسلام والخنوع للطاغوت، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ

(١) أي الدعوة.

(٢) مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ج ٣، ص ٢٦١.

(٣) البقرة، ٢٥٦.

رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ^(١)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنسِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(٢).

وهنا بعض الأفكار والرؤى الجامعة التي أمر الله عز وجل عباده بالاجتماع والوحدة تحت مظلتها مثل: العدل والقسط، ومن ثم الارتقاء إلى الفضل والإحسان، وبالتالي المبادرة والسعي لعطاء ذوي القربى ما يستحقون أو يحتاجون، والأهم هو النهي عن الفحش من القول أو الفعل أو الرؤى أو السلوك أو الفكر أو العمل، والنهي عن المنكر من القوانين والإجراءات والنظريات والتطبيقات، والنهي عن البغي من العدوان الأمني، والطغيان السياسي، والبطر الاقتصادي، والتكبر الاجتماعي، والغرور العلمي، والتسلط الديني، والأصعب هو نهى الطغاة عن فحشهم وطغيانهم ومنكراتهم التي كدّرت الحياة وحولتها إلى جحيم، والأصعب من ذلك كله هو الوفاء بالعهود والمواثيق التي يقطعها الإنسان على

(١) الكهف، ٢٩.

(٢) المائدة، ٤٨.

نفسه لغيره باختياره وإرادته، ولا ينقض عقد يمينٍ أكدها ولو كان في الالتزام بما عاهد وعقد ضرر بالغ عليه، فهذه الأفكار هي التي ينبغي ويجب أن نتوحد تحت لوائها.

وهنا رسالة تحذيرية من الله سبحانه وتعالى إلى المؤمنين وبالخصوص مَنْ قضى حياته في الجهاد، وشارك في بناء الصرح الرسالي وثبتت أركانه وبالأخص القيادات منهم بأن لا ينقضوا جُهدَ حياتهم الرسالية بالخروج من مظلة الرسالة، وأن لا يُلغوا كلَّ تاريخهم الرسالي والجهادي بِجَرَّةِ قلمٍ لا يخطُّ إِلَّا رُؤى مبتورة أو مواقف متخاذلة، وبأخص الخصوصية لِمَنْ قضى سنين عمره بالجهاد لبناء صرح القيم الرسالية والمبادئ السماوية، وتحمل عناء الغربة وضيق العيش وضنك الحياة من أجل الرسالة.

وينبغي أن لا ننخدع بتسلط وتعالى أمة الطغيان وجماعة الضلال على أمة التوحيد، وجماعة الهدى فنفسل في الامتحان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾.

ولولا العناية الإلهية والرحمة الواسعة لركس الناس أجمعين في وحل التيه ومستنقع الضلال، ولكن الله تعالى رحم العباد بنبي الرحمة ﷺ، وأوحى إليه القرآن لكي يُجْرِجَ النَّاسَ باختيارهم من التيه والضلال، ولو شاء الله لأكرههم وأجبرهم جميعاً على التوحيد، أو أهملهم وتركهم متوحدين ومتحدين في غيهم وفساد فكرهم وتفكيرهم وعبوديتهم للطاغوت، ولكن رحمة الله الواسعة هي التي حالت بين الناس والوحدة على الضلال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢).

إن الله تعالى قادرٌ على توحيد الناس جبراً على الهدى والتوحيد الإلهي الخالص، ولكن حكمة الله وسنته اقتضت أن يكون الإنسان مُحَيَّرًا في اعتقاده وعمله.

ولذلك يجب أن لا ننخدع ولا نغترّ بما عند أمة الضلال من إمكانات ماديّة، ولا يجوز لنا أن نمارس بعض أساليبهم ووسائلهم المستوحاة من مرض القلب كالكذب والتزوير

(١) النحل، ٩٠-٩٢.

(٢) الشورى، ٧-٨.

والنفاق والتعالي والتسلط والاستبداد والنهب والسلب
والخداع فيما بيننا، مما يؤدي إلى أن تنزل أقدامنا في مستنقع
التيه، وزللها في وحل الضلال، وسقوطنا في ظلمات صنمية
الزعامة والظهور بعد أن بلغ بعضنا مرتبة سامية من العمل
الرسالي الطلائعي، وارتقى بعض آخر سنام القيادة الرسالية.
ولكن عدم الصبر على طريق ذات الشوكة، والعجلة إلى
الزعامة الفانية، أو الشهرة المنقطعة تحوّل بيننا وبين ما يبقى
ويدوم من الجزاء الأحسن من جنة عدن، والرضوان الإلهي
في الآخرة الذي خصّه الله سبحانه وتعالى للصابرين على طريق
ذات الشوكة، زيادةً على حياة العزة والكرامة من الحياة الطيبة
في الدنيا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *
وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾^(١).

إنَّ عدم إقامة وحدة إنسانية إلاَّ تحت مظلة التقوى وحبل الله تعالى لا يتنافى مع ضرورة التعايش الإنساني مع ما في الكون، فضلاً عن التعايش البيني فيما بين الناس بعضهم مع بعض، والذي لا يتحقق إلاَّ بتكوين وتشديد علاقات إنسانية طيبة وحميمة مع الكلِّ بما فيهم المختلف المتناقض؛ فعدم إقامة وحدة إنسانية إلاَّ تحت مظلة التقوى وحبل الله لا يتنافى وفعل الخيرات والبر والإحسان أيضاً مع كلِّ مختلف معنا ولكن لا يمارس العدوان علينا ولا على قيمنا، وهكذا إنَّ عدم إقامة وحدة إنسانية إلاَّ تحت مظلة التقوى وحبل الله لا يتنافى مع إقامة علاقات سياسية واقتصادية وأمنية، بل وعقد المعاهدات للدفاع المشترك، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢).

إنَّ عدم الشرعية للوحدة الإنسانية إلاَّ تحت قيمة التقوى لا يعني جواز العدوان على الآخر المختلف في العقيدة وإن كان ممن يقوم بصد المؤمنين عن ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم، بل

(١) الممتحنة، ٨.

(٢) فصلت، ٣٤-٣٥.

لا يجوز التعاون على العدوان عليه، كما أن المعيار الشرعي للوحدة لا يتنافى والتعاون مع كل الناس مهما اختلفت مشاربهم ومعتقداتهم في كل مجالات الحياة بشرط أن تكون على أساس الخير والفضيلة، وليس على أساس الرذيلة أو العدوان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

إن معيار الوحدة لا يتنافى ولا ينفى الحرية ووجوب أداء الحقوق للمختلف مهما كانت عقيدته؛ عن الأصبغ بن نباتة قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد... فصعد المنبر فجلس عليه السلام عليه متمكناً... ثم قال: «يا معشر الناس؛ سلوني قبل أن تفقدوني... أما والله لو وثيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة، فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ

وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١﴾ (٢).

ولذلك كان ﷺ يرى أنَّ لأعراضِ أهلِ الكتابِ وأموالهم حرمةً مثل ما يراه لأعراض المسلمين وأموالهم؛ فقد قال ﷺ بعد ما أغارت خيل معاوية على الأنبار، واعتدوا على أعراض وحرمة نساء المسلمين، ونساء أهل الذمة: «وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةَ، فَيَنْتَرِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا، وَرِعَائَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِزْجَاعِ وَالِاسْتِزْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمًّا، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا» (٣).

وقال ﷺ في كتاب أرسله إلى عماله على الخراج «وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍِّ وَلَا مُعَاهِدٍ» (٤).

وفي حديثٍ أنه مرَّ شيخٌ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين ﷺ: «مَا هَذَا؟» - ولم يقل الإمام ﷺ مَنْ هَذَا مسلم أو غير مسلم؟ - قالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني.

فقال: أمير المؤمنين ﷺ: «اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبَّرَ وَعَجَزَ

(١) الرعد، ٣٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١١٧-١١٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٧٩.

(٤) مكاتيب الأئمة ﷺ، ج ٢، ص ٣٣٦.

مَنْعُومُوهُ؟ أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ»^(١).

بل بلغ احترام كرامة الإنسان وحرية في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام أن الإسلام جعل للذمي ولغيره الحق إلى حدٍ يسمح له أن يخاصم إمام المسلمين، ويكون هو وإمام المسلمين أمام القضاء سواسية ويطالبه بالبينة لدعواه، كما اتفق ذلك في قصة درع أمير المؤمنين عليه السلام ومخاصمته في عصر خلافته مع رجل من اليهود عند شريح القاضي.

إن أمير المؤمنين عليه السلام قد أسس حكومته على أساس الكرامة والعدل والحرية والأمن والمحبة لكل الرعية والمساواة بينهم.

وهذا هو أمير المؤمنين عليه السلام يأمر الولاة ويوصيهم بحقوق الرعية والمساواة بينهم حتى في اللحظة والنظرة، وأن يكون على مسافة واحدة من الجميع من دون فرق بين معتقداتهم بين أن يكونوا مسلمين أو كتابيين أو غيرهم.

لأنّ المشاعر والروابط الإنسانية في منهج وفكر الإمام علي عليه السلام من أهم الروابط التي يجب الاهتمام بها وحفظها ورعايتها بين البشرية في جميع الأمور والأحوال ومن دون فرق بين الرعية من مسلمين أو غيرهم احتراماً وإكراماً لإنسانية الإنسان من دون دخل لعقيدته أو ديانتته وإنّما لدخالة إنسانيته

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٦٦.

فقط، يقول الإمام عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الرِّزْلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلُّ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَتَدَمَّنَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْعَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ»^(١).

وفي سنن أبي داود، عن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ؛ فَإِنَّا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

إنه منطوق الشريعة الإسلامية التي ترى أن للإنسان - من دون النظر إلى عقيدته - كرامة العيش، والحقوق في جميع مجالات الحياة وأبعادها السياسية والاقتصادية والمهنية والعلمية .. وله

(١) مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ج ١، ص ٤٧٩.

(٢) حكم النبي الأعظم ﷺ، لمحمد الريشهري، ج ٧، ص ٩٤، ح: ١٠٣٥٤.

حق الحرية الفكرية والشخصية ما لم يتجاوز حقوق غيره؛ ولذلك عاش جميع أهل الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم في ظل الحكومات الإسلامية من كرامة العيش والحرية والحرمة والكرامة الإنسانية.

إن الفكر الإسلامي الأصيل ليس فكراً استتصالياً، بل ولا إقصائياً كما يتوهمه بعض الجهلة الذين لا يفقهون من الدين إلا التمتع بسفك الدماء التي حرمها الله تعالى، واستعداد البشرية للإسلام، وكأن الإسلام والرحمة الإلهية ممتنعة على غير شلتهم^(١) المتشرذمة، أمّا باقي الناس بمن فيهم الفرق الإسلامية فضلاً عن غير المسلمين لا يستحقون إلا الإقصاء، بل والاستتصال حسب منطق أولئك الجهلة.

ولقد أصل أمير المؤمنين عليه السلام للعلاقة بين المؤمنين فيما بينهم، وكذلك مع غيرهم، لكي لا يجد الاستتصاليون والإقصائيون منفذاً للاستتصال أو الإقصاء، ولكي تكون كل حججهم واهية داحضة.

يقول الإمام عليه السلام:

«الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»^(٢).

(١) شلّة: جماعة من الأصدقاء ذات ميول واحدة.

(٢) تحف العقول، ص ١٢٧.

ويقول عليه السلام: «أما والله لو ثبتت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرانهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تثلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١١٨.

أقوى العوامل الداعية للوحدة

7

إنّ الوحدة الإسلامية تستمد شرعيتها من مصادر المعرفة والإلهام الخمسة، لمعرفة وبناء دعامتي وركيزتي الحياة وهما عمارة الأرض، وإصلاح العباد؛ وهذه المصادر هي ذاتها مصادر المعرفة للفكر الأصيل، والبصيرة النيرة، والرؤية الثاقبة، والعمل الرشيد، والموقف المسؤول؛ وهذه المصادر هي:

١. الوحي: لما يمثله من منظومة فكرية سليمة، لا عيب فيها ولا خلل، وشاملة لكل أبعاد الحياة ومجالاتها، ومتكاملة لا نقص فيها ولا قصور، وجامعة لكل أبعاد الحياة وحاجات الكون والإنسان، ومنسجمة لا تناقض فيها وبلا اختلاف.

٢. العاطفة: لما تمثله من أحاسيس بشرية جيّاشة، ومشاعر إنسانية نبيلة، وطبائع اجتماعية أصيلة، وحاجات نفسية ضرورية.

٣. الفطرة: لما تمثله من أصول فكرية يعرف الإنسان من خلالها الوحي الإلهي الذي ما نزل إلا ليذكّر بمكنونها، وما تمثله من نفس لوامة تحافظ على حياة الضمير ويقظته، وتوقد

حرارة العاطفة الجياشة.

٤. التجربة: لما تمثله من تراكم خبرة إنسانية ممتدة من الملاحظة الدقيقة، والتفكير المتأمل، والتكرار الواعي للملاحظة أو الفعل، واستحضار الدليل الواضح، واعتماد البرهان القاطع، لتثبيت نظرية أو تفنيدها، ومن ثم الانطلاق والسعي في التفكير والعمل بناءً على الحقائق الجلية، وتجاوز الأوهام الخيالية التي يتيه الناس في زوابعها، ورفض الخرافات الجاهلية التي تُكبّل عقول الناس وطاقتها.

٥. العقل: لما يمثله من منظار صافٍ لا يتشوش ولا يُخطئ، لتشخيص الفكر وتمييزه، وفهم الوحي وتطبيقاته، وهو قسطاس مستقيم، ومقياس هدى لتحديد النسبة الصحيحة والدرجة الطبيعية للعاطفة، وحماتها من خداع النفس الأمّارة بالسوء، وهو ميزان صدقٍ لعلمية وموضوعية وسلامة التجربة أو قصورها أو انحيازها أو سقمها.

ومن نبع هذه المصادر الخمسة تشكل البصيرة الثاقبة، والرؤية النافذة، وتُرَدَّفان بالعمل المبدئي والموقف المسؤول لتشديد صرح الأمة الواحدة على أساس أقوى العوامل الداعية للوحدة وهي:

١- الأحاسيس الوجدانية المشتركة المحشوة بالإيمان:

وهي أهم الوشائج والروابط في بناء صرح الوحدة الإسلامية بعد رابطة العقيدة، لأن الارتباط العاطفي، والمشاركة الوجدانية، بين المسلمين يذيب كل الحواجز المصطنعة التي كرّسها الواقع الجاهلي، ومن ثم يقتلع المؤمنين من جاذبية الأرض والجسد الحيوانية ليسمو بهم إلى شفافية السماء والروح الإنسانية وكأنهم مشتركون في وجدان واحد إذا تألم واحد منهم تألم له الآخرون، وهكذا حزنه وسروره يُحزن ويُسرّ المؤمنين لأنهم يعيشون في حالة من التعاطف والانسجام الوجداني الصادق؛ الناشئ من الشعور الإنساني الملتهب، والعقيدة الإيمانية الراسخة.

قال الرسول الأعظم ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ (١) فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (٢).

وقال الإمام الصادق ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ فِي تَبَاؤِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاظِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (٣).

(١) في لفظ البحار: مثل المؤمن

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٤.

وقال عليه السلام: «المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسدِ الواحدِ إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأزواهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»^(١).

وقال عليه السلام: «إنما المؤمنون إخوة بنو أبٍ وأمٍّ، وإذا ضرب على رجلٍ منهم عرق سهر له الآخرون»^(٢).

وقال عليه السلام: «لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكون لأخيه مثل الجسد إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقِهِ»^(٣).

وقال عليه السلام: «لكلِّ شيءٍ شيءٌ يستريح إليه وإن المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكليه»^(٤).

وقال عليه السلام: «المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسدِ إذا سقط منه شيءٌ تداعى سائر الجسد»^(٥).

وعن جابر قال: «تنفست بين يديه» أي بين يدي أبي جعفر الباقر عليه السلام «ثم قلت يا بن رسول الله ﷺ، هم يصيبني من

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦٦.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٤.

(٥) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٧٣.

غير مصيبة تصيبني، أو أمر ينزل بي، حتى تعرف ذلك أهلي في وجهي، ويعرفه صديقي.

فقال عليه السلام: «نعم يا جابر».

قلت: ما ذلك يا بن رسول الله ﷺ؟

قال: «وما تصنع به؟».

قلت: أحب أن أعلمه.

فقال: «يا جابر إن الله عز وجل خلق المؤمنين من طين الجنان وأجرى بهم من ریح الجنة روحه فكذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحاً من تلك الأزواج في بلدة من البلدان شيء حزنْتَ هذه الأزواج لأنها منها»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه لأنَّ الله عز وجل خلق المؤمنين من طين الجنان وأجرى في صورهم من ریح الجنان فلذلك هم إخوة لأبٍ وأم»^(٢).

ولم ولن يفقد الفرد المؤمن شخصيته الفردية، ولا خصوصياته الشخصية، ولا كيانه المستقل بارتباطه العاطفي بالمجتمع الإيماني، ومشاركته الوجدانية في بوتقة الأمة الإسلامية ضمن المجموع المتكوّن من المؤمنين، وإنها يكتسب

(١) المؤمن، ص ٣٨-٣٩.

(٢) المؤمن، ص ٣٩.

قدرات أكبر، وإمكانات أكثر، وفضائل أجمل، ومناقب أحسن، وحصناً يحميه من الأشرار، وأسواراً تمنع عنه زوابع الأعداء، ويُغذّي معارفه العقلية بمشاركة المؤمنين في عقولهم، ويوسّع دائرة ارتباطاته الاجتماعية بالعلاقات المبدئية، ويُشبع نهمه الروحي بالسكينة ببركة التوافق والانسجام بينه وبين المؤمنين، ويُروِي ظمأه النفسي بزلالِ أخوته الإيمانية وأحاسيس إخوته المؤمنين.

يقول الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِدْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا بَقَلَّةِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ، وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ^(١) يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنْ انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَابِيهِ أَبَدًا، وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ»^(٢).

٢- المصير المشترك الوحيد للنجاة:

لأنه حينما لا ينفع مال ولا بنون، وتتقطع كلّ الوشائج والعلاقات والارتباطات بما فيها الوشائج المشروعة كرابطة

(١) النظام: الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ ونحوه. والخرز: ما ينظم في السلك من الجذع والودع.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٤٦.

الرحم؛ حيث يفر الكلُّ من الكلِّ، ويتخلى الجميعُ عن الجميعِ، وحينما تنهار في نار جهنم كلُّ الأبنية التي أُسِّست على شفا جرف هارٍ من الدويلات والقوميات والإقليميات والوطنيات والقبليات والعشائريات والتحزبات والحميّيات الجاهلية... هنالك يحتاج الإنسان إلى قلب سليم بالتقوى ينفعه عند الله، ورابطة إيمانية منسوجة بوجه الله الذي لا يفنى لكي يتعلّق بها، وعروة وثقى من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله يتمسّك بها، وحبلٌ من الله يعتصم به، وبناءً أُسِّسَ على التقوى والرضوان الإلهي لأنَّ كلَّ العلاقات والوشائج بين الناس في هذه الدنيا تتحوّل يوم القيامة إلى وقود العداوة بين الناس ما عدا علاقات المتّقين حيث يأذن الله سبحانه وتعالى لهم بالشفاعة فيشفعون، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ

بُيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١﴾.

٣- العقيدة الإيمانية الواحدة:

لأنَّ أهم العناصر والوشائج والروابط التي تُشيدُّ صرح الوحدة، وتحقق مفهوم الأمة الواحدة هي وحدة الفكر والعقيدة التي تقتلع الحجب بين المؤمنين؛ وذلك عندما تعالج الضيق والحرَج بسعة وبشرح للصدور، وتشافي العمى والدرن ببصيرة وجلاء القلوب، وتداوي الجشع والجموح بالقناعة وترويض النفوس، لتكُون التعارف، وتُشكِّل التوافق، وتُحَقِّق انسجاماً روحياً مؤتلفاً ينجذب بعضه إلى بعض، لأنَّ ما تعارف من هذه الأرواح والأنفس باتفاق العقل والعقيدة والفكر والرأي والهوى انسجم وائتلف، وما تناكر منها بمباينة في العقل أو العقيدة أو الفكر أو الرأي أو الهوى افترق واختلف، وهذا ما ينطق ويتكلم به الواقع الخارجي، وندركه بالحواس، ونشاهده جلياً واضحاً، فكم وكم من الناس الذين اختلفوا في العشيرة والوطن والقوم واللغة والعناصر المادية الأخرى ولكنهم اتفقوا في العقل والعقيدة والأفكار والآراء والعلاقات الروحية، نراهم منسجمين متحابين متجاذبين كأنهم أسرة واحدة بل روحٌ واحدة في أجسادٍ متعددة، وهذا ما تؤكدُه

(١) التوبة، ١٠٧-١١٠.

النصوص الشرعية، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجْتَدَّةٌ تَلْتَقِي فَتَتَشَامُ كَمَا تَتَشَامُ الْخَيْلُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا جَاءَ إِلَى مَسْجِدٍ فِيهِ أَنْاسٌ كَثِيرٌ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَمَالَتْ رُوحُهُ إِلَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ»^(١).

لأن حقيقة إنسانية الإنسان بعقله وعقيدته وفكره وآرائه، وبها يمتاز الإنسان عن سائر أنواع الحيوان والمخلوقات الأخرى ويُفَضَّلُ عليها، والعقيدة هي التي تُشكِّلُ بنية قلب الإنسان، وتُكوِّنُ تطلعاته الروحية، وتُوجِّهُ ميولاته النفسية، ومن ثم تنعكس على سلوكياته وأعماله ومواقفه، وبالتالي تنشئ وتحدّد علاقاته وارتباطاته.

(١) المؤمن، ص ٣٩.

البصيرة القرآنية لوحة الأمة الإسلامية

8

إنَّ التشريع الإسلامي جعل المسلمين كلهم أجمع أُمَّةً واحدة، وجعلهم أمام الحكم والقانون والتشريع السماوي سواء؛ لكي يُجذَّر روح الوحدة والاتحاد فيما بينهم، ولذلك لا فضل لأحدٍ منهم على أحدٍ إلا بقيم التفاضل من التقوى والإيمان، والعلم والمعرفة، والجهاد والعمل الصالح، والسبق لفعل الخيرات، والتحلِّي بالفضائل، وجعل الوحدة والتوافق والانسجام في المنطق العقلي، والتفكير المعرفي، والعقيدة الإيمانية، والفكر الإسلامي الأصيل هي الأرضية الخصبة، والحرث الحقيقي لغرس بذرة العلاقة الوثيقة وتنشئة الروابط والشائج الصادقة، وإيجاد وتكوين الأخوة بين أفراد الإنسان، ومن ثمَّ اجتماعهم واتحادهم تحت مظلة الأُمَّة الواحدة المتحدة.

ولذلك ترى من بديهيات وأساسيات التشريع الإسلامي في تأصيل العلاقات بين المجتمع الإيماني هو الحكم بوحدة الأُمَّة الإسلامية وأخوة المؤمنين، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ تَتَكَافَى دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ» (٣).

وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ تَتَكَافَى دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ» (٤).

وقال ﷺ في حجة الوداع: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ اسْمَعُوا قَوْلِي وَأَعْقِلُوهُ، تَعْلَمَنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ؛ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِيٍّ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمَنَّ أَنْفُسَكُمْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟» (٥).

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الأمة الإسلامية أمةً واحدةً، وذلك بتأصيل عقيدتها المعرفية بالتوحيد الإلهي الذي يتجلى علمياً في توحيد الربوبية، وسلوكياً في توحيد العبودية لله وحده، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق، ولذلك لا يمكن أن

(١) الحجرات، ١٠.

(٢) التوبة، ١١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٦٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٦٨.

(٥) سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام، ج ٢، ص ٦٠٤.

يكون لهذه الوحدة تجلُّ حقيقي في الواقع الخارجي إلا بإلغاء الأرباب من دون الله، وهم كلُّ السلطات السياسية والدينية والاجتماعية... التي تُعبد بالطاعة من دون الله وبالخصوص حكام الدول الذين يطاعون بمعصية الله.

ولكن الأمة نقضت الميثاق الإلهي، وقطعت أمرها إلى حزبيات ودويلات يتسلط عليها حكام يتنازعون كراسي الملك العضوض؛ واتخذتهم الأمة أرباباً متفرقين يطاعون بمعصية الله.

وكلُّ هذه الأرباب الجاثمة على صدر الأمة التي تتلذذ وتنتشي حينما تستعبد شعوبها تتحوّل إلى عبيدٍ حقيرة تُعبد ربّها الأعلى، وفرعونَ عصرها، ورأس الأفعى الذي يتمثل في دول الاستكبار الدولي والاحتلال الغاصب، فأمسى كلُّ حاكمٍ ربّاً صغيراً تعبده الرعية، التي تعيش تحت جبروته بطاعته ومعصية الله.

ولكن تبقى هناك أمة مؤمنة تعمل الصالحات، لبناء وتشيد وحدة الأمة الإسلامية تحت راية التقوى، وحبل الله الذي تجسّد في كتاب الله عز وجلّ وعتره النبي ﷺ، ولن يتمكن أحدٌ من حجب أعمالهم لتوحيد الأمة الإسلامية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ

الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿١﴾.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يؤكد على جعل الأمة الواحدة للمسلمين بتوحيد الربوبية له وحده، ونبذ الطواغيت ولكن الأمة انصاعت لحكام الكراسي، وخنعت لسلاطين الظلم، واستسلمت لطواغيت الجور، الذين نصبوا أنفسهم أرباباً على الناس، وفرضوا طاعتهم من دون الله الجبار، وأمسى كل رب مع أشياءه يطبل فرحاً، ويزمر بطراً، ويغني غروراً؛ بسراب قيعه قطعوها من أمر الأمة، وفصلوها عن كيانها، وفصموها عن هويتها، وغربوها عن أمها.

فأوكلهم الله تعالى إلى أنفسهم، وتركهم في غمرة هوى السلطة، وتيه الحكم، وسكرة شهوة الطغيان، وغفلة الملك، إلى حين تزار أسود الكرامة، ويزجر شلال الشعب هاتفاً بما ينفع الناس من الكرامة والعدالة والحرية والأمن ووحدة الأمة الإسلامية، وجارفاً زيد التملق والنفاق والخوف والخنوع، وعوي ذئاب الوحدة الوطنية، ونباح كلاب الوطنية، ونهيق حمير الولاء الوطني.

وهنالك تنزل سلطة الأرباب، وتفقد تأثيرها السحري بالجزرة، بعد تضييعها لسبائك المال الذهبية التي كانت تُعلفُ بها بهائم الأنعام من البنين الممسوخة الروح، المعدومة

الضمير، عبدة المال والمنصب، ومن ثم يتخلى عنها بنين الأنعام، ليفرّوا بجلودهم وما سرقوه، فتفقد سلطة الأرباب سيطرتها المرعبة بالعصا، فيتهاوى عرشها كما تتهاوى أوراق الخريف.

وهذا مصير مَنْ يركب الغرورُ رأسه، وتعمّيه خيرات النعم الإلهية المتسارعة من وفرة المال، ودهاء الرجال، لإعمار البلاد، وإصلاح العباد؛ إلا أن أرباب السلطة متبلدٌ إحساسُها، وفاقدة شعورها، وميّتٌ ضميرُها ولذلك لا تبالي ولا تلتفت إلى دموع الأطفال، أو أنين المعذبين، أو آلام الثكلى، أو جراح المجاهدين، أو صرخات دماء المستشهدين، لأن سكرة هوى السلطة، وغمرة شهوة الطغيان تفقد الأرباب من دون الله شعورهم بسنة الله تعالى في تداول الأيام والسلطة والحكم فضلاً عن المعرفة بهذه السنة أو غيرها من السنن الإلهية التي تحكم حركة الكون والإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

(١) المؤمنون، ٥١-٥٦.

ومع كلّ خداعٍ غبشِ العشوة الإعلامية بنباح الكلاب، وعوي الذئاب، ونهيق الحمير، ومع كلّ عنفوان بطش الإرهاب الطاغوتي بأنياب السباع، ومخالب الوحوش لتأسيس شفا جرف هارٍ من الأرباب الذين قطعوا أوصال الأمة الإسلامية إلى دويلات مهجّنة بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، تستمر مشكاة نور شمس وحدة الأمة الإسلامية مشرقة كلّ صباح، لتملأ قلوب الصادقين بعزيمة الاستقامة في الإيمان بوحدة الأمة الإسلامية، والتمسك بها، والتبشير بمنافعها، والكفر بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، والتخلي عنها، والإنذار بأضرارها.

وما كان لهؤلاء الصادقين القدرة والقوة للسباحة عكس تيار الأرباب والوطنية والوحدة الوطنية لولا تحليهم بخصال التقوى التي انغrust في أعماق قلوبهم، والخصال هي:

١. الشفقة من خشية ربهم: وعدم الخشية من أرباب السلطة والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

٢. الإيمان بآيات ربهم: والكفر بأنظمة وقوانين أرباب السلطة والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

٣. الطاعة لربهم وحده: والتنزه عن شرك الطاعة لأرباب السلطة والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

٤. وجّل قلوبهم محيطٌ بكلّ ما يأتون به من أعمال وأقوال:

ليقنهم برجوعهم إلى ربهم للحساب، ولا توغل قلوبهم من محاسبة وترهيب وتعذيب أرباب السلطة والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

٥. المسارعة في الخيرات والسبق لفعالها: ومن هذه الخيرات وحدة الأمة الإسلامية، وأخوة الإيمان، وهذا عكس تيار عبث الطاغوت الذين يسارعون في النباح بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، ويتسابقون في العوي بها تملقاً لأرباب السلطة والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

٦. لم يُكَلِّفُوا ولا هم يُكَلِّفُونَ أنفسهم فوق طاقتهم: ولذلك لا يتصنَّعون ولا يتكَلِّفون في الإيمان بوحدة الأمة الإسلامية، أو في التمسك بها، أو التبشير بمنافعها، لأنّها تنسجم مع الوحي والفطرة والعقل والعاطفة، على عكس ببغاوات الأرباب والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني الذين يتكَلِّفون ويتصنَّعون الإيمان بالأرباب والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نَكْلِفُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾.

ونلاحظ أنّ الآيات الأربعة الأولى لم تستخدم لفظ الله لأنّه لا يوجد مسلم يؤمن بغير الله، وإنّما استعملت كلمة ربّهم وذلك لنفي الأرباب التي يؤمن بها كثير من المسلمين، وهذا هو الواقع الذي نشاهده بجلاء، حيث لا يمكن لمسلم أن يؤمن بإله غير الله، ولكنّ الكثير - بل الأكثر - من المسلمين يؤمنون بأرباب غير ربّهم حيث يتخذون الحكام أرباباً من دون الله، فيعتقدون أنّ رزقهم وأمر حياتهم بيد الحكام، فيطيعونهم بمعصية الله تعالى، وهذه هي المعضلة التي تعيق وحدة الأمة الإسلامية.

إنّ الأرباب وأتباعهم غارقون في غمرة هوى السلطة والملّك، وتقطع أوصال الأمة إلى دويلات مُهَجَّنة، والنباح والعوي بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، وسكرة شهوة الجور والطغيان.

كما أنّهم جذر كلّ أنواع الفساد، وإن كان فساداً صغيراً، لا يقارن ولا يقاس بفساد الأرباب الذين أجبروا الأمة على طاعتهم من دون الله، ولو اتبعت الشريعة الإسلامية أهواءهم التسلطية، وشرّعت لهم تقطيع أوصال الأمة إلى دويلات مُهَجَّنة، واستجابت لنباحهم وعويهم بالوطنية والوحدة الوطنية

والولاء الوطني، وسلّمت بمشر وعيتها لفسدت السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات وسنن ونظم وتشريعات.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَازُونَ * لَا تَجَازُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾^(١).

إن المؤمنين هم الذين يسعون إلى:

١. أهداف مشروعة، وتطلعات سامية: وسنامها تقوى الله حق تقاته، الذي يتجسد بالإيمان بكل المنظومة الإسلامية وجميع مجالاتها وأبعادها العقائدية والفكرية والسياسية

(١) المؤمنون، ٦٣-٧٦.

والاجتماعية... ويكتمل الإيمان بالاستقامة إلى آخر رمق في الحياة على التسليم لكل مفردات المنظومة.

٢. أعمال صالحة وسلوكيات فاضلة: ومظهرها وحدة الأمة الإسلامية، التي يجسدها الالتزام بوجود التمسك بوحى السماء مرجعية لكل شؤون الحياة في نظرياتها ومفاهيمها، والالتزام بوجود التمسك بقيادة الرسالة مرجعية لكل شؤون الحياة في تطبيقاتها ومفرداتها.

ولكي يبقى التمسك بوحدة الأمة الإسلامية دائماً حرم الله سبحانه وتعالى تفريق الأمة الإسلامية إلى فرق من دويلات أو غيرها يعتلي كراسي عروشها أرباب من حكام الظلم والجور والطغيان.

٣. التعامل مع الحاضر، والتعاطي مع قضاياها: انطلاقاً من الخبرة بمسيرة الحياة وسننها، والعبرة بالماضي، والاستفادة من التجارب المتراكمة؛ ولذلك ترى ذاكرتهم حاضرة دائماً، ويستشفون من خلالها المستقبل ويسعون لأفضله.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ

مَنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

إنَّ المؤمنين حقاً هم الذين يتخذون وحي السماء عقيدة لهم ومرجعيةً لجميع شؤون حياتهم، ويتخذون وحدة الأمة الإسلامية بما تحويه من منظومة فكرية متكاملة مستوحاة من السماء حصناً لقوتهم، ومصدراً لعزتهم، ولكن أعداء الرسالة لن يدعوا المؤمنين وشأنهم، وإنما سيتكالبون لسلب قوة المؤمنين عبر تركيز ثقلهم في تفريق الأمة الإسلامية، وتقطيع أوصالها، مما يؤدي إلى النزاع والشقاق فيما بينهم، وفي قيم الرسالة، وكل ذلك لإطفاء نور الرسالة، ولكي تُفشل مسعى الأعداء في تفريق الأمة يجب على المؤمنين في الصراع ومواجهة الأعداء الالتزام بالمنهج التالي:

١. الثبات والصمود في المواجهة والصراع أمام الأعداء: وعدم التراجع أو التردد في الاعتقاد بقيم السماء، أو ضرورة وحدة الأمة.

٢. أن تكون ثقافة السماء حاضرة في أذهانهم: تُرددها ألسنتهم، وتُطبّقها جوارحهم.

٣. الإيمان بقيم السماء، ومنها وحدة الأمة الإسلامية: والكفر بقيم الطاغوت الذي أفرز الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني كلباس خاص به يُفصّل دائماً على مقاسه.

(١) آل عمران، ١٠٢-١٠٣.

٤. يجب أن تكون الطاعة للقيادة الرسالية التي تلتزم وحي السماء، وتفكر وتقرر من أفق وحدة الأمة الإسلامية: وليس لقيادة الطاغوت التي تعبد الهوى، وتفكر وتقرر من محورية تسلطها على كرسي الحكم.

٥. عدم التنازع في قيم السماء: ومنها وحدة الأمة الإسلامية التي لا يجوز التنازع في قيمتها الاجتماعية، وشرعيتها الدينية، وضرورتها الرسالية، ومحوريتها لبناء القوة الضاربة، والمُكَنَّةِ المنتجة، والقدرة المبدعة، وعدم التنازع في قيادة الرسالة التي تتحرك من أفق وحدة الأمة الإسلامية، حيث تتجاوز ضيق التفكير المحلي المتوقع إلى رحاب التفكير الأعمى المتسع؛ لأن التنازع في القيم السماوية أو القيادة الرسالية يؤدي إلى الفشل في تحقيق الأهداف المشروعة والتطلعات السامية ومن ثمّ ذهاب القوة والقدرة والمُكَنَّةِ.

٦. الصبر على طريق ذات الشوكة: دفاعاً عن وحي السماء، ووحدة الأمة الإسلامية.

٧. عدم الاغترار بأهل البطر والغرور بالإمكانات المادية الوطنية التي اقتطعت من إمكانات الأمة الإسلامية.

٨. عدم الانخداع بأبواق النفاق بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني رياءً للطاغي.

٩. عدم الانبهار أو التأثر بالذين يصدون المجاهدين عن

العمل الرسالي: ويصدون الناس عن الكفر بالطاغوت.

١٠. تجاهل المنافقين وأصحاب القلوب المريضة الذين يستصغرون قَدَرَ وقُدْرَةَ المجاهدين الذين يتمسكون بوحى السماء: ووحدة الأمة الإسلامية، ويكفرون بمنهج الطاغوت، والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

١١. التوكل على الله تعالى: لتحقيق العزة لنا بوحدة الأمة الإسلامية، والحكمة في رؤانا ومواقفنا بمنهج وحي السماء.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُئِسُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١﴾.

فالوحدة في العقيدة الإيمانية التي توحد الأصول للتفكير والفكر والسلوك، هي القادرة على جمع أفراد الإنسان، وإيجاد العلاقة الوحودية بينهم؛ وليس وحدة اللسان ولا وحدة الوطن ولا وحدة العنصر ولا غير ذلك من وحدات قسرية أو آنية أو غيرها؛ ولذلك شرع وأكد وحكم الإسلام بوحدة الأمة الإسلامية، وأخوة المؤمنين بما هم مؤمنون، ولا يرى للامتيازات القسرية أو الآنية الأخرى من الجنس واللغة واللون والحدود الجغرافية و... قيمة أو شأنًا توجب فضيلة أو ميزة للإنسان في قبال الفضائل الروحية المكتسبة، وعلى قمة هرم الفضائل فضيلة الإيمان والتقوى؛ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ أَخُوهُ وَلَا يَرَوْى وَيَعْطَشُ أَخُوهُ وَلَا يَكْتَسِي وَيَعْرِى أَخُوهُ فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»^(٣).

(١) الحجرات، ١٣.

(٢) الحجرات، ١٠.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٧٠.

وقال عليه السلام: «يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْاجْتِهَادُ فِي التَّوَأُّلِ
وَالْتَعَاوُنِ عَلَى التَّعَاطُفِ وَالْمُوَاسَاةِ لِأَهْلِ الْحَاجَةِ وَتَعَاطُفِ بَعْضِهِمْ
عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(١)
مُتْرَاحِمِينَ مُغْتَمِّينَ لِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ
مَعْشَرُ الْأَنْصَارِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
فَلَيْسَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنَادِي يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ
بِمُسْلِمٍ»^(٣).

(١) الفتح، ٢٩.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤.

البصيرة القرآنية للوحة المذهبية

9

إنَّ التاريخ والواقع يشهدان بجلالٍ لا لبس فيه بأن المسلمين لم يتمكّنوا من تكوين وحدة الأمة الإسلامية إلا بعد الهجرة النبوية الشريفة، ولكنهم لم يستجيبوا لله في حفظ هذه الوحدة المباركة فيما بعد، ولم تبقَ إلا عقداً من الزمان، ثم ارتدّوا وانقلبوا عليها في آخر حياة رسول الله ﷺ، وتقطّعوا أمرهم بينهم إلى أحزاب ومذاهب ودويلات متناحرة من أجل الكرسي والعرش والزعامة تعلق من بطن الجهل والهوى والشهوات، واستمر الانقلاب إلى يومنا هذا.

وسيبقى هذا الواقع المتشرذم والممزق لأوصال الأمة الإسلامية إلى حين ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيُحْسِبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

(١) المؤمنون، ٥١-٥٦.

في ظل هذا الواقع الممتد لأكثر من أربعة عشر قرناً، والذي يُكرّس تمزيق الأمة الإسلامية إلى أحزاب ومذاهب ودويلات، استجابة لشهوة وهوى أرباب وعُباد الكراسي والعروش للزعامة والتسلط، هل نستسلم لهذا الواقع، ونرفع راية العجز، ونعضده بالمشاركة في مضاعفة تقطيعه عبر التنظير لشرعنة الحزبية العصبية والوطنية والقومية و...، واستحداث فلسفة جاهلية، وبناء هيكلية معوجّة، وكسوها بمنظومة ثقافية هزيلة لأجسام حزبية أو عصبية أو وطنية أو قومية أو غيرها؟

إنّ الجواب القرآني قاطعٌ وجلي بحرمة تقطيع الأمة الإسلامية إلى أوصال تنهشها الكلاب المسعورة، ولا يجوز لأفراد الأمة الإسلامية أن يتخذوا ولياً يحكمهم من أرباب الظلم كاليهود وجميع حكام دول الجور والطغيان، ولا يجوز أن يتخذوا ولياً يتزعمهم من أرباب الضلال كالنصارى وجميع زعماء مذاهب الباطل وأحزاب الفساد.

والظالم لا سلطة له إلا على الظالم، والضال لا سلطة له إلا على الضال، ومن يقبل بحاكمية الظالم فهو ظالمٌ مثله، ومن يقبل بزعامة الضال فهو ضالٌ مثله، ومن يظلم نفسه بقبول سلطة الظالم أو سلطة الضال فلن يهديه الله تعالى طريق الرضوان الإلهي، وسيقع في زوبعة الظلم، ودوامة الضلال،

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

إنَّ أرباب الجور والطغيان يتخذون من جماجم وعظام
المجاهدين هيكلاً لعروشهم، ويعتمدون التخويف والترهيب
منهجاً لحكمهم، ولذلك نرى -بوضوح وجلاء- الذين
امتلات أحشاء قلوبهم بمرض الخوف والجبن والهزيمة والذل
والخنوع يهرولون لعبوديتهم، وإعلان فرض السمع والطاعة
والولاء لهم.

وفي قبال هذا الخوف من الطغاة يُصرِّحون للناس وبتهور
وصلافة وقلّة حياءً بأنهم عاجزون عن رفض الظلم ويخشون
الطاغي، ويستغفلون القدرة والحاكمة الإلهية، وضعف الطغاة
وهشاشة حكمهم، ولكن حين يتهاوى الطغاة سيندمون على
سداجة تفكيرهم، وما اعتقدوه من أوهام بقوة الطاغي، ومن
سراب بجبروته.

وهناك حين يتهاوى الطاغي يقوم المؤمنون بتذكير
المنافقين بمواقفهم الانهزامية، والاصطفاف مع الظالمين ضد
المؤمنين مما يجعلهم في الحضيض، حيث يملكون عملاً رسالياً
يؤهلهم لأن يكونوا من طلائع المجتمع الإيماني فضلاً عن

قيادته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ﴾^(١).

إن تقطيع أوصال الأمة الإسلامية إلى أحزاب ومذاهب وقوميات ودويلات أسست على شفا جرف هار لا يميز لنا الخلود إلى الهزيمة والخنوع بالقنوط أو الإحباط أو اليأس من توفيق الله، واستجابة المؤمنين، وإمكانية تكوين وإقامة وحدة نوعية مستخلصة من الأمة الإسلامية، يشكلها المؤمنون الذين يتحلون بصفات أولياء الله التي حددها الله سبحانه وتعالى، ليكونوا وحدة مذهبية مؤسّسة على الحق من التقوى والرضوان الإلهي لتجمع المؤمنين الصادقين الذين آمنوا بقلوبهم وجميع جوارحهم، وتميزهم عن غيرهم من المنهزمين الذين استسلموا المنهج الطاغوت، وارتدوا عن قيم السماء لما تعارضت ومصالحهم أو أسلافهم أو آبائهم أو حزبيتهم؛ فارتدوا عن دين الله الخالص وآمنوا بالأرباب من دون الله تبارك وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَءَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

والصفات التي يتحلى بها المؤمنون الذين يشكّلون من خلالها وحدة مذهبية تجمع أهل مذهب الحق هي التالية:

٢+١ / الإيمان والالتزام بقيم الرسالة ووحى السماء، والاتباع والانقياد لقيادة الرسالة وولاية السماء من جانب، وفقه الوحي والحياة من جانب آخر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ»^(٤).

٤+٣ / إقامة علاقاتهم وتشبيدها على أساس القيم والمبادئ، وليس على أساس العواطف أو المصالح: فهم يتحلون بلين العريكة من العفو والتسامح... مع أهل الإيمان من جانب، ويتحلّون بالقوة من الحزم والصلابة... مع المعاندين من جانب آخر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

(١) المائة، ٥٤.

(٢) المائة، ٥٤.

(٣) آل عمران، ٣١-٣٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١٧.

أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

٦+٥ / جهاد النفس لترويضها وإصلاحها، وجهاد الأعداء لردعهم عن العدوان: وبركة الجهاد الدائم يرتقون إلى معالي الخصال، فيتحلّون بالشجاعة في تبني الرؤية واختيار الموقف، ويتحلّون بالإقدام للتبشير بالرؤية وبيان الموقف، ويتحلّون بعدم الخوف من السلطات السياسيّة أو الاجتماعيّة أو الدينيّة أو العلميّة، اعتقادهم بالرؤية واتخاذهم الموقف، ممّا يمكنهم من الاستقلال الفكري والعملية وعدم التبعية لوساوس الشياطين، وهم في حركة ونشاط دؤوبين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

(١) المائدة، ٥٤.

(٢) الفتح، ٢٩.

(٣) المائدة، ٥٤.

إن هؤلاء هم المؤمنون الذين يشكّلون الوحدة المذهبية لحزب الله ومذهب الحق على أساس حصر الإيمان بوحى السماء، وباتباع قيادة الرسالة التي تجسّدت في رسول الله ﷺ، ثم امتدت لتتجسّد في أمير المؤمنين ع، ثم في الأئمة من ولده ع، ثم في الفقهاء الربانيين؛ وهذه الوحدة المذهبية هي الجوهر الصافي من شوائب الأرباب من دون الله، والنواة الحقيقية، والمصداق الخارجي لتشكيل وحدة الأمة الإسلامية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

البصيرة القرآنية لوحة الأمة المؤمنة

10

يجب تكوين أمة مؤمنة تدعو إلى الخير الذي يؤدي إلى وحدة الأمة الإسلامية، وتأمّر بكلّ معروفٍ من الرؤى الرساليّة والأفكار الإسلامية والمفاهيم الشرعية التي تحقّق الأخوة الإيمانيّة وتقويّ وحدة الأمة الإسلاميّة، وتنهى عن كلّ منكر من الرؤى الجاهلية، والأفكار الضالّة، والمفاهيم الطاغوتية التي تُفرّق الأمة الإسلاميّة، وتُقطّع أوصالها.

ولا يجوز للأمة بل ويحرم عليها أن تكون كالأمم السابقة التي تفرّقت وتقطّعت واختلفت إلى أحزاب ودويلات، يعتلي صهوتها الأرباب من دون الله عزّ وجلّ من حكام الظلم والجور والطغيان، مع علم الأمة بحرمة اتخاذ الأرباب من دون الله، ولذلك استحقوا العذاب في الدنيا بالخزي والذل والاستعباد، وفي الآخرة بالنار وبئس المصير.

ولقد أنجب المجتمع الإسلامي في بدء تشكّله وتكوّنه أمة مؤمنة كانت خير الأمم، لأنّها تأمّر بكلّ معروفٍ من الرؤى الرسالية والأفكار الإسلامية والمفاهيم الشرعيّة التي تقويّ وحدة الأمة الإسلاميّة، وتنهى عن كلّ منكر من الرؤى الجاهليّة والأفكار الضالّة والمفاهيم الطاغوتية التي تُفرّق الأمة

الإسلامية وتقطّع أوصالها، وتؤمن بقيم وثقافة السماء التي تنادي بوحدة الأمة الإسلامية، وتكفر بقيم وثقافة الطاغوت التي تنعق بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

أكرمية الإنسان وأفضليته على المخلوقات

11

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان وركَّبَ فيه العقل والشهوة، ولأنَّ الإنسان يتكوَّن من جسدٍ مادي حيواني يحيا بالشهوات، ومن روح معنوية ملائكية تحيا بالعقل فهو محتاج لهما -العقل والشهوة- معاً؛ فهو محتاج للعقل لتغذية الروح وتنشيطها وحفظ حياتها، ويحتاج إلى الشهوة لتغذية الجسد وتنشيطه وحفظ حياته، ويسعى كلُّ من العقل والشهوة لجذب الإنسان إليه والأخذ بزمامه.

ولقد أعطى الله عزَّ وجلَّ الإنسان الحرية، وزوَّده بالإرادة والعزيمة التي تمكِّنه من الاختيار، فهو حرٌّ ويملك القدرة والعزيمة على الاختيار.

وبهذا التركيب من العقل والشهوة، وبنعمة الحرية والعزيمة والاختيار، وباستثمار الإنسان لحرية الاختيار بتغليب عقله على شهوته، ومن ثمَّ بتحملة مسؤولية الأمانة باختياره يتأهل الإنسان للتسامي والأكرمية والأفضلية على سائر المخلوقات، فيتسامى الإنسان إلى ما فوق الملائكة، قال رسول الله ﷺ: «ما شيءٌ أكرمُ على الله من ابنِ آدمَ»

قيل: يا رسول الله؛ ولا الملائكة؟ قال:

«الملائكة مَجْبُورُونَ، بمنزلةِ الشَّمسِ والقمرِ»^(١).

ولكن هذه الأكرمية والأفضلية للإنسان ليست مطلقة، ولا سنّة حتمية تحكم الوجود، وإنما هي مادة خام موجودة بالقوة لا بالفعل في عمق كيان الإنسان؛ ولذا لن تجد الأكرمية سبيلها إلى حيز الوجود حينما يسيء الإنسان استعمال حرية الاختيار، ويندحر العقل في مواجهته للشهوة، وتغلب الشهوة العقل، لأنه حينئذٍ تتحول نعمة حرية الاختيار إلى نقمة، ويتسافل الإنسان إلى ما دون حضيض الحيوان.

ومن هنا كانت حقيقة الإنسان وقيمه في عقله ومعنوياته لا في شهواته ومادياته، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

فقال عليه السلام: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلاً بِلا شَهْوَةٍ وَرَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلا عَقْلٍ وَرَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْهِمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ

(١) كنز العمال، ج ١٢، ص ١٩٢، ح: ٣٤٦٢١، ووردت في كتاب: نهج الفصاحة، ص ٦٦١، بلفظ: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من المؤمن».

البهائم»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل والشهوة ضدان، ومؤيد العقل العلم، ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما؛ فأيُّهما قهر كانت في جانبه»^(٢).

وقال عليه السلام: «إن أفضل الناس عند الله من أحمأ عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لصلاح آخرته»^(٣).

وقال عليه السلام: «من غلب عقله هواه أفلح، من غلب هواه عقله افتضح»^(٤).

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك؟»^(٥).

وقال عليه السلام: «من غلب شهوته ظهر عقله»^(٦).

وقال عليه السلام: «من كمل عقله استهان بالشهوات»^(٧).

(١) علل الشرائع، ج ١، ص ٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١١٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٣٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦١١.

(٥) الكافي، ج ١، ص ١٧.

(٦) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٢١٢.

(٧) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٢١٢.

وقال عليه السلام: «مَنْ غَلَبَ شَهْوَتَهُ صَانَ قَدْرَهُ»^(١).

إنَّ الإنسانَ بعقله يتحرَّر من إصر الجسد وتجاذباته الأرضية، فيروِّض بالتقوى نفسه الأمارة بالسوء إلى أن يغلبها برحمة الله التي كتبها للمتقين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِي أَمَنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَانِبِ المَرْئِقِ»^(٣).

وَمَنْ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ بِالتَّقْوَى يَطْرُدُ شَيَاطِينَ الجِنِّ وَالإِنْسِ عَنِ الحَوْمَةِ عَلَى قَلْبِهِ، فَيَتَسَامَى عَنِ الأَشْيَاءِ، وَيَتَحَرَّرُ مِنَ عبودية الشَّيْئَةِ، وَيَعْرِجُ بِرُوحِهِ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْ لَأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَيَّ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَيَّ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ»^(٥).

وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى مَلَكُوتِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَبْصُرُ آيَاتِ اللهُ

(١) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٢١٢.

(٢) يوسف، ٥٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٤٧٤.

(٤) الأنعام، ٧٥.

(٥) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٦١.

ويوقن بها، وباليقين سيرى الإنسان التجلي الإلهي جلياً في كتابه المجيد، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِحَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(١).

وبالتجلي الإلهي سيملك الإنسان السلطان الذي يتمكن به من النفوذ من أقطار السماوات والأرض، يقول الله سبحانه وتعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ»^(٢).

وبالتجلي الإلهي سيملك الإنسان العلم الذي يملك به القدرة الإعجازية الخارقة، يقول الله سبحانه وتعالى: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ»^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧.

(٢) الرحمن، ٣٣.

(٣) النمل، ٤٠.

الأصالة والسِّيادة للقيم الرسالية أولاً وبالذات

12

ولكي يكون هناك تأصيلٌ أصيلٌ للرؤية إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني لأبَدٍ في البدء أن نعلم أن الأصالة والسِّيادة والمحورية والحاكمة في الوجود بين المخلوقات أولاً وبالذات للقيم الرسالية التي استُوحيَت واستُنبتت من الوحي الإلهي الذي جُمع بين دفتي القرآن الذي له الأصالة والسِّيادة الذاتية؛ فالأصالة والسِّيادة والمحورية والحاكمة لهذه القيم الرسالية أولاً وبالذات لماذا؟

أولاً: لأنَّ القيم الرساليَّة هي وحي السماء الذي أنزله الله الخالق والرَّبُّ للكون والإنسان وكلِّ شيء، والله عزَّ وجلَّ هو وحده دون سواه الخبير العليم بما يحتاج إليه الكون والإنسان وبما يصلحهما، وما يحقِّق تطلعات الإنسان وأهدافه.

ثانياً: لأنَّ القيم الرسالية هي الثوابت التي تحيط بكلِّ الموضوعات، وتحكم كلَّ المتغيرات.

ثالثاً: لأنَّ القيم الرسالية شاملة لكلِّ مجالات وأبعاد الحياة الزمانية والمكانية والموضوعية والشخصية؛ ولذلك تكون القيم الرسالية وحدها دون سواها هي القادرة على استيعاب جميع

الأوطان في كلّ الأزمان، واستيعاب جميع الفئات والشرائح الاجتماعية، واستيعاب جميع التحوّلات والتغيّرات الكونيّة والإنسانيّة، لأنّها حاكمة وسامية على الكون والإنسان وعلى الطبيعة والجغرافيا والتاريخ.

رابعاً: لأنّ القيم الرساليّة جامعةٌ لكلّ ما يُصلح الكون والإنسان، وبها دون سواها يمكن معالجة كلّ المشاكل والأزمات وإصلاح كلّ أنواع وأشكال الفساد.

خامساً: لأنّ القيم الرسالية تستجيب لكلّ ما يحتاجه التكوين بجميع وجوداته، وتلبّي كلّ ما يتطلّع إليه الإنسان بمختلف مشاربه.

أهم القيم المعرفية

13

إن التوحيد الإلهي هو القيمة العليا والجامعة والشاملة والأصل لكل القيم الرسالية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣)، والتوحيد الإلهي هو أصل ومنبع كل القيم الرسالية التي لا يمكن أن تكون لها أصالة وسيادة ذاتية لو لم تصدر من قيمة التوحيد الإلهي.

ومن التوحيد الإلهي تشعب كل القيم الرسالية، وأهمها

(١) الأنبياء، ٢٥.

(٢) النحل، ٣٦.

(٣) الإخلاص، ١-٤.

القيم المعرفية التي تتبوأ رأس الهرم للقيم الرسالية، وبقيم المعرفة المستوحاة من قيمة التوحيد يسمو الإنسان ويتبوأ أعلى درجات الكرامة، ويُفَضَّل على المخلوقات؛ ومن أهم القيم المعرفية القيم التالية:

أولاً: الرحمة الإلهية:

وهي أعظم تجليات التوحيد الإلهي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

فالرحمة الإلهية هي الهدف الأسمى والأعظم من خلق الله للإنسان، لأن الله تعالى ما خلق العباد إلا ليرحمهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

والرحمة الإلهية وسعت كل شيء في الوجود في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

(١) البقرة، ١٦٣.

(٢) الحشر، ٢٢.

(٣) هود، ١١٨-١١٩.

فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

الرحمة الإلهية هي المعرفة السامية العظمى، ولب الرسالة وبصيرتها التي يحتاج العباد إلى معرفتها لكي تستقيم حياتهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَيَّنْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

والرحمة الإلهية هي القيمة والنعمة الكبرى التي أوجبها الله على نفسه لعباده، لكي تُطَهَّر قلوبهم، وتزكَّى نفوسهم، وتُجَلِّي عقولهم، وتوسِّع صدورهم، وتمحو كل الذنوب والمعاصي، وتزيل كل المساوئ والمخازي؛ وما باب التوبة إلا تجلُّ من تجليات الرحمة الإلهية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

(١) الأعراف، ١٥٦.

(٢) الحجر، ٤٩.

(٣) الأنعام، ٥٤.

(٤) النساء، ٦٤.

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا

(١) البقرة، ٣٧.

(٢) النساء، ١١٠.

(٣) المائدة، ٣٩.

(٤) المائدة، ٧٤.

(٥) الأعراف، ١٥٣.

(٦) التوبة، ١٠٢.

أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

والرحمة الإلهية هي التي تقتلع الإحباط واليأس والقنوط، وتجتث كل المخازي والمعاصي والذنوب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

إن الرحمة الإلهية قيمة فوق تصور البشر وإدراك الناس وتطلعات الإنسان لأنها تبذل وتجعل جميع سيئات التائبين حسنات، وهذا مما لا يتصوره ولا يدركه ولا يتطلع إليه الناس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا

(١) التوبة، ١١٨.

(٢) النحل، ١١٩.

(٣) القصص، ١٦.

(٤) الزمر، ٥٣.

فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

والرحمة الإلهية هي الحصن الذي يقي الإنسان من النفس الأمارة بالسوء، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

والرحمة الإلهية هي الهدف من كل التشريعات السماوية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣).

والرحمة الإلهية هي النور الذي يمدُّ قلب الإنسان بالحياة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

والرحمة الإلهية هي الهدف الأسمى والأعظم لكل العقلاء والمؤمنين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١) الفرقان، ٧٠.

(٢) يوسف، ٥٣.

(٣) النساء، ٢٩.

(٤) الحديد، ٢٨.

رَّحِيمٌ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

والرحمة الإلهية هي التي تحفظ الوجود، وبها سخر الله عز وجل ما في الكون للإنسان، وبها يُرزق العباد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٤).

وما العدالة الإلهية والمعاد إلا غيض من فيض رحمة الله تبارك وتعالى، وسوف يزداد تجلي الرحمة الإلهية في العدالة الإلهية والمعاد في يوم الجزاء حيث تُزال الحجب، وينكشف الغطاء.

(١) البقرة، ٢١٨.

(٢) التوبة، ٩٩.

(٣) الحج، ٦٥.

(٤) سبأ، ٢.

ثانياً: العدالة الإلهية:

التي أحاطت بكل شيء وكل الوجود قائم بها، وما من شيء في الوجود إلا وهو موجود وقائم بالعدل الإلهي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

إن الكون وما فيه من أنواع وأشكال الوجود، والتشريع وما فيه من إجمال وتفصيل للثوابت والمتغيرات، هما كلمة الله التي كَمَلَتْ وَتَمَّتْ عَلَى أَسَاسِ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

وأما الظلم والبغي والجور والعدوان والطغيان وجميع أنواع وأشكال الغي والفساد والانحطاط الذي نشاهده في الحياة ما هو إلا نتاج أعمال وأفكار وتصورات وأوهام البشر الذي حَكَّمِ الهوى، واتبع الشهوات، وغَيَّبَ العقل، وَحَجَبَ نَوْرَ السَّمَاوَاتِ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣).

وصيغة المبالغة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِظَلَّامٍ﴾ لتأكيد

(١) آل عمران، ١٨.

(٢) الأنعام، ١١٥.

(٣) الأنفال، ٥١.

نفي أدنى درجات الظلم من حيث الكم والنوع، لأن الظلم لا يصدر إلا من الضعيف؛ ولذلك لو صدر ظلم -ولو كان صغيراً وقليلاً وحقيقياً- من الإنسان الفاضل الكريم الكبير والتمكن القوي القدير لكان كثيراً وعدّ ظلماً كبيراً وعظيماً، والله عزيز قدير حكيم لا يحتاج إلى الظلم.

ثالثاً: المعاد:

وهو التجلي للعدالة الإلهية، ليُجَازَى ويُثَاب المحسنون على إيمانهم وعملهم الصالح بأحسن ما كانوا يعملون، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويُجَازَى ويعاقب المسيؤون على ما عملوه واكتسبوه من الإثم والعدوان ظلماً وفساداً بالعذاب الأليم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصُدُرُ

(١) يونس، ٤.

النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيْرُوا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾.

رابعاً: النبوة:

وهي من أجل التجليات للعدالة الإلهية في الحياة الدنيا،
ولإكمال وإتمام الحجة على العباد بالإنذار بعذاب الدنيا ويوم
المعاد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى
حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ
قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ
وَنَخْزَى﴾ (٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا

(١) الزلزلة، ١-٨.

(٢) القصص، ٥٩.

(٣) الإسراء، ١٥.

(٤) طه، ١٣٤.

قَدَمْتُ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَاسٍ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢).

ويجب الإيمان بكل الرسل والأنبياء جميعاً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

نعم هناك تفاضل بين الرسل وهذا التفاضل لا يتنافى والإيمان بهم جميعاً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٤).

(١) القصص، ٤٧.

(٢) النساء، ١٦٥.

(٣) البقرة، ٢٨٥.

(٤) البقرة، ٢٥٣.

خامساً: الإمامة:

وهي الامتداد الطبيعي للنبوّة والرسالة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

والإمامة هي إرادة منّة إلهية، وجعل إلهي وليست اختياراً بشرياً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣).

وهذا الجعل الإلهي سبقه أو اقتّرّن به وبعده اختبارٌ صعب وبلاء شديد يتجاوز فيه المَجْعُول للإمامة الشحّ والبخل والظلم، ويتصف بالتضحية والعدالة والقسط؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

(١) الرعد، ٧.

(٢) النحل، ٨٩.

(٣) القصص، ٥.

(٤) البقرة، ١٢٤.

وما استحقوا الإمامة إلا بعد ما فعلوا الخيرات، وأقاموا الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولم يرضوا لأنفسهم العبودية للمال والثروة، وأنفقوها في سبيل الله عز وجل ومستحقاتها، وكانوا عباداً لله وحده، وصبروا على مختلف أنواع وأشكال الأذى، واستقاموا في تبليغ الرسالة الإلهية، وبلغوا الدرجة العالية من المعرفة واليقين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

ولذلك كانوا أهل التقوى وأهل الكتاب وأصحاب الأمر، أي أمر الشرع المقدس والدين الإسلامي، ووجبت طاعتهم، وقرنت طاعتهم بطاعة الرسول ﷺ، وطاعة الله سبحانه وتعالى لأن طاعتهم طاعة للرسول ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ طاعة لله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣).

(١) الأنبياء، ٧٣.

(٢) السجدة، ٢٤.

(٣) النساء، ٥٩.

والأئمة بعد الرسول ﷺ هم أولي الأمر، وهم الراسخون في العلم، وعندهم علم الكتاب، ولن يفترقوا عنه، ولن يفترق الكتاب عنهم؛ فهم وحدهم مَنْ يتمكن من استنطاق القرآن لاستنباط واستخراج الرؤية الثاقبة والموقف الرشيد لكل شؤون الحياة ومتغيراتها صغيرها وكبيرها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوَّرَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

سادساً: الكفر بالطاغوت:

لأن الطاغوت هو مستنقع الغي المعرفي ومصدره، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

والطاغوت هو وحل الضلال الفكري ومنشؤه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾^(٣).

(١) النساء، ٨٣.

(٢) البقرة، ٢٥٦.

(٣) النحل، ٣٦.

ويتجسّد الكفر بالطاغوت في اجتنابه وعدم التحاكم إليه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).

سابعاً: الإيمان:

الذي يرتقي به الإنسان إلى التقوى، والتقوى التي يرتقي بها الإنسان إلى نبع اليقين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

(١) النساء، ٦٠.

(٢) السجدة، ١٨.

(٣) المجادلة، ١١.

(٤) الحجرات، ١٣.

ثامناً: العلم:

الذي عُرِسَتْ بذُرَّتِهِ فِي قَلْبِ حُرِثٍ بِالتَّقْوَى، فَتْتَهَاوَى
بِذَلِكَ حَجَبَ الْهَوَى وَأَسْتَارَ الشَّهَوَاتِ، وَتُعْرِفُ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ،
وَتُكْتَشِفُ أَسْرَارَ الْكُونِ، وَتُخْرِجُ كَنُوزَ الْأَرْضِ، إِنَّهُ الْعِلْمُ الَّذِي
يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ الْعَالِمَ دَرَجَاتٍ مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ وَالْمَقَامِ
الْمَحْمُودِ، فَيَكُونُ مَعْرَاجاً لِلْحِكْمَةِ الْمُتَعَالِيَةِ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَانْفَسِحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً
وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

والحكمة المتعالية التي تحمي العلم من التبعية للشر
وتستثمره للخير، وترتقي بالإنسان المتقي إلى المعرفة الإلهية،
فتكون باباً مُشَرَّعاً للمعرفة الإلهية، يقول الله سبحانه وتعالى:
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) المجادلة، ١١.

(٢) الزمر، ٩.

(٣) البقرة، ١٥١.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

والمعرفة الإلهية التي يشع منها نور الله فيرى الإنسان المؤمن العارف الرحمة والعظمة الإلهية في نفسه والآفاق، وتنكشف له حقائق الدنيا وحقائق الناس، فيتصاغر كل الوجود في عينيه، فيحُبُّ الله ويشتاق إلى ملاقاته فيؤكِّله هائلاً في بساتين المعرفة بالله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُهمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٣).

(١) البقرة، ٢٦٩.

(٢) محمد، ٣٠.

(٣) المائدة، ٨٣.

أهم القيم الإنسانيّة

14

ومن القيم المعرفية تتشعب القيم الإنسانية وأهمها القيم
التالية:

أولاً: الرحمة:

التي تكون هوية الإنسان، وتسمو به إلى حقيقة الإنسانية،
وتعرج به إلى أعلى وأسمى درجاتها، وتصونه من تفكير
الوحوش، وتطهره من سلوكيات السباع، وتجعل القلب ليناً
مشفقاً محبباً متواضعاً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ
كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

(١) الأحزاب، ٤٣.

(٢) آل عمران، ١٥٩.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٣).

ثانياً: الكرامة:

التي تُشكّل شخصية الإنسان ومنهج تفكيره ونمط سلوكياته، والعزة التي تُثبّت قدم الإنسان وتمكّنه من الصمود والاستقامة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٥).

(١) التوبة، ١٢٨.

(٢) الروم، ٢١.

(٣) الإسراء، ٢٤.

(٤) الإسراء، ٧٠.

(٥) الحجرات، ١٣.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَسُوا لَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ثالثاً: العدالة:

العدالة العامة لكل الناس والشاملة لجميع مجالات الحياة، العدالة التي تلهم القلوب الشجاعة والإقدام، وتقتلع الجور وتزيل الجبن والخوف من قلوب الأنام، والقسط الذي يؤتد فسطاطه ليُنِيخ تحت ظله الصغير والكبير والضعيف والقوي

(١) النساء، ١٣٩.

(٢) يونس، ٦٥.

(٣) فاطر، ١٠.

(٤) المنافقون، ٨.

والأنثى والذكر وكل من له حق فلا يضام.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْنَكُم لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا

(١) المائدة، ٨.

(٢) النحل، ٧٦.

(٣) الحجرات، ٩.

(٤) الأنعام، ١٥٢.

وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣).

رابعاً: الحرية:

التي تُخرج الإنسان من ربقة وأسر العبودية التي يفرضها الطغاة، بدءاً من طغاة العائلة الذين يستعبدون المرأة والأولاد، وطغاة المال الذين يستعبدون الفقراء، وطغاة الجاه الذين يستعبدون الضعفاء، وطغاة العلم الذين يستعبدون الجهلة، وطغاة الدين الذين يستعبدون الهمج، وطغاة السياسة الذين يستعبدون كلّ الفئات الاجتماعية وبلا استثناء لأحد، يقول الله

(١) الأعراف، ٢٩.

(٢) الحديد، ٢٥.

(٣) المتحنة، ٨.

سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرِيكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾^(٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي

(١) الأعراف، ١٥٧.

(٢) الكهف، ٢٩.

(٣) البقرة، ٢٥٦.

(٤) الإسراء، ٨٤.

الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

خامساً: الأمن العام:

لكل الناس والشامل لجميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والأمنية غيرها، والسلام العادل الذي يحقق الأمن ويحفظ الحقوق ويُقيّم الحياة في جميع أبعادها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمَّ يِقَاتِلُوكُمْ وَاللَّقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (٥).

(١) يونس، ٩٩.

(٢) النساء، ٩٤.

(٣) الأنفال، ٦١.

(٤) البقرة، ٢٠٨.

(٥) النساء، ٩٠.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

أهم قيم الفرد والمجتمع

15

ومن القيم الإنسانية تشعب قيم الفرد والمجتمع ومن أهمها القيم التالية:

أولاً: الحب:

الذي يطهر القلوب من أثقال الأحقاد التي تُضيّق الصدور وأوبئة الضغائن التي تُضيّق الحياة بما رحبت. الحب الذي نتعلمه من حبّ الله تعالى للأخيار، حيث يحفّزهم حبّ الله لهم على فعل الخيرات، والتحليّ بالخصال الحميدة من الطهارة والعطاء والإيثار والتقوى والإحسان والصبر والتوكل والقسط، والمودة التي تحفظ العلاقات والروابط الاجتماعية من التفكك والانحيار.

إنّ الحب هو أساس العلاقة بين الله تعالى وعباده الصادقين، ولن يستحق حمل مشعل رسالة السماء، ولن يتمكن من الصبر والاستقامة في حملها إلا من امتلأ قلبه حباً لله، وجسد هذا الحب بتبّاع القيادة الربانية الصادقة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾^(١).

(١) البقرة، ١٦٥.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)،

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢)،

وحبُّ الله عزَّ وجلَّ يجعل قلوب المحبين واسعة رحبة تحبُّ مَنْ هاجر إليهم ولا تضيق بالمهاجرين، ولا ترى أنهم يزاومونهم في معيشتهم؛ بل إن قلوب المحبين تتعالى على ماديات الحياة وتسمو بإنسانيتها لبناء المجتمع الإيماني، وتشيد اللحمة الاجتماعية الرسالية، فتؤثر على نفسها مع حاجتها الشديدة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

والحب القلبي الذي يتحوّل إلى مودة في السلوك هو الذي يحفظ الأسرة من التفكك والانفصال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

(١) آل عمران، ٣١.

(٢) المائدة، ٥٤.

(٣) الحشر، ٩.

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾.

وصاحب القلب المحب لله مهياً قلبياً وسلوكياً لمودة مَنْ يعاديه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

والحب لمن أحبه الله هو الحرث الطيب لمكارم الأخلاق ومحاسن الفعال، ولب تلك الأخلاق وسنامها الأخلاق التالية:

١ / التقوى: وهي الأساس والخير لكل بناء معنوي أو مادي أو نفسي أو اجتماعي، وهي حرث الالتزام بالعهود والمواثيق الإلهية والبشرية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

(١) الروم، ٢١.

(٢) الممتحنة، ٧.

(٣) التوبة، ١٠٨-١٠٩.

(٤) آل عمران، ٧٦.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

٢/ الطهارة: من أدران الحياة، ولوثة الدنيا، وأمراض القلب، ومساوئ النفس؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٤).

٣/ الإحسان: الذي يُمَكِّن الإنسان من الخروج من قوقعة ذاتياته ومن تجاوز أنانياته فتصطبغ بشخصيته بالإيمان والعمل الصالح، والتقوى والإحسان فينفق في السراء والضراء، ويكظم غيظه ويعفو عن الناس، ويصفح الصفح الجميل،

(١) التوبة، ٤.

(٢) التوبة، ٧.

(٣) البقرة، ٢٢٢.

(٤) التوبة، ١٠٨.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

٤ / التوكل: الذي يلهم الإنسان الحيوية والحركة والنشاط والسعي والإقدام والاستقامة والثبات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥).

٥ / القسط: الذي يمنع الظلم والعدوان، ويحفظ الحقوق ويسيطر الأمن، ويطمئن المخالفين فضلاً عن الموافقين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ

(١) المائة، ٩٣.

(٢) البقرة، ١٩٥.

(٣) آل عمران، ١٣٤.

(٤) المائة، ١٣.

(٥) آل عمران، ١٥٩.

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٢﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٣﴾.

٦ / النظام والتنظيم: حتى في أحلك الظروف، ففي معمعة الحرب حيث الإنسان لا يلتفت ولا يعير أهمية لشيء غير الحرب، ويغفل عن كل الشؤون ما عدا شأن الحرب يَرُصُّ المقاتلون صفوفهم وينظمون أمرهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾.

٧ / الصبر: الذي يمنع وهن النفس والروح، ويمنع ضعف الجسد والبدن، ويمنع الاستكائة والتوقف والجمود،

(١) المائة، ٤٢.

(٢) الحجرات، ٩.

(٣) الممتحنة، ٨.

(٤) سورة الصف: ٤.

والصبر هو الرأس لكل فضيلة، يقول الله سبحانه وتعالى:
 ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

ثانياً: كظم الغيظ:

الذي يمنع الإنسان من الانفعال والغضب والانتقام
 ويهيء الأرضية للعفو والتعافي، يقول الله سبحانه وتعالى:
 ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

والعفو الذي يقتلع شرارة الحروب، ويحافظ على السلم
 والأمن الأسري والاجتماعي والسياسي و.. والمحلي والإقليمي
 والدولي، العفو الذي يقرب الإنسان للتقوى ويرتقي به
 للصفح، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفٌ مَّا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ
 أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا
 الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ
 كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
 لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) آل عمران، ١٤٦.

(٢) آل عمران، ١٣٤.

(٣) البقرة، ٢٣٧.

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَنَسَوْنَ حِطَّاءَ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾.

والصفح الجميل الذي يقتلع الضغائن والأحقاد وكل نبتات العدوان والانتقام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٤﴾.

ثالثاً: العمل:

الذي يمحو الكسل والخمول من الذات، ويبيد التواكل والاتكال على الغير، العمل الذي بسواعد أهله تُبنى الحياة

(١) آل عمران، ١٥٩.

(٢) البقرة، ١٠٩.

(٣) المائدة، ١٣.

(٤) الحجر، ٨٥.

وَيُسَخَّرَ مَا فِيهَا مِنْ نِعَمٍ وَخَيْرَاتٍ، وَتُشَيَّدُ الصَّنَاعَاتُ، وَيَتَضَاعَفُ الْإِنْتِاجُ، وَتَدُومُ الزَّرَاعَةُ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

والسعي الذي يوجد النشاط، وينشئ الحراك، ويختزل الزمن ويستثمر الوقت، ويحقق الأهداف، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٢).

والجهاد الذي يُحَصِّنُ الإنسان الفرد من فساد الهوى وخراب الشهوات، ويُحَصِّنُ الإنسان في المجتمع من فساد الطاغين واستهتار العابثين، ويهدي الإنسان إلى أقوم سبل رب العالمين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

والمسارعة التي تزيل التسويف، وتجتث التواني، وتغتتم الفرص، وتقطع سيف الوقت، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

(١) التوبة، ١٠٥.

(٢) النجم، ٣٩-٤٠.

(٣) العنكبوت، ٦٩.

(٤) آل عمران، ١٣٣.

رابعاً: التعاون:

وهو قوام المجتمع البشري، فما من شيء من المتوجات الزراعية أو الصناعية أو غيرها إلا وقد تعاونت على إنتاجها أيدٍ وعقولٌ متعددة، ولا يوجد ولن يوجد شيء من نتاج شخص واحد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

والألفة التي تُعبر عن سعة الأفق ورحابة الصدر، وطهارة القلب، والمرونة وعدم التعقيد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

والألفة التي تنتشل الإنسان الفرد والمجتمع من حضيض حياة الغاب والوحشية إلى سمو حياة الأخوة الإيمانية، والنظارة الإنسانية، وتحقق الوئام والانسجام الاجتماعي، وتنزع أغلال القلوب إلى أن ترتقي بالمجتمع إلى الوحدة والاتحاد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ

(١) المائة، ٢.

(٢) الأنفال، ٦٢-٦٣.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

والألفة التي تحققت وئام وانسجام الإنسان مع الطبيعة وتحولاتها وتغيراتها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿٢﴾.

والاعتصام بحبل الله تعالى الذي تجسّد في القرآن وعتره النبي ﷺ، وبهما يترسخ الإيمان بالله عزّ وجلّ، ويتحرّر الإنسان من الجبت، ويكفر بالطاغوت؛ وهما العروة الوثقى التي يجب التمسك بها لتحقيق الوحدة الإيمانية، والاتحاد الاجتماعي الذي يحفظ القوة ويوجد المكنة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) آل عمران، ١٠٣.

(٢) قريش، ١-٢.

(٣) آل عمران، ١٠٣.

(٤) الأنفال، ٤٦.

أصالة الإنسان وسيادته على القوانين الوضعية والوطن

16

بعد العلم بأصالة القيم الرسالية على كل الوجوديات
السؤال التالي:

هل الأصالة والمحورية والسيادة بعد أصالة القيم الرسالية
للإنسان أم للقيم البشرية أم للقانون الوضعي أم للأرض أم
للوطن؟

لا ريب أنّ هناك مصدرين للقيم، وهكذا للقوانين
والتشريعات:

المصدر الأوّل: هو وحي السماء والقيم الرسالية:

فالوحي هو الأصل والمرجعية الوحيدة لكل القوانين
السماوية والتشريعات الإلهية التي ما شرّعت إلا من أجل حفظ
وتيسير وسلامة حياة الإنسان، وتسخير الطبيعة للإنسان؛ ومن
هنا وُضعت كل القيم الرسالية، وشرّعت كل القوانين السماوية
والتشريعات الإلهية لإصلاح الإنسان وخدمته، وتحقيق حريته،
وتكريم ذاته، وإكمال إنسانيته؛ ليكون سيداً على الأشياء، لا
عبداً لها؛ فالأصالة والسيادة والمحورية والحاكمة لقيم السماء،
ثم للإنسان.

ولكن كما أنّ الإنسان لا يبقى على قيد الحياة الجسدية إلاّ بالهواء والطعام والشراب التي خُلِقَتْ لأجل حياته، كذلك لا يبقى قلب الإنسان ينبض بالحياة الإنسانية السامية، ولا يمكن أن يتخلص من رق العبودية للأشياء، ويرتقي سلّم السيادة عليها إلاّ بالقيم الرسالية، وبالقيم الرسالية يتسبّد الإنسان على الأشياء.

والقوانين السماوية والتشريعات الإلهية أنواع فمنها:

١. قوانين وتشريعات شرّعت لحفظ وتدعيم القيم الرسالية: أو هي منها: مثل تشريع الصلاة التي لا يسقط تكليفها عن المكلف بأي حال كان، لتجسيد مفهوم التوحيد والعبودية لله وحده، ومثل حق الكرامة وهي الحرّيم الإنساني الذي لا يجوز التعدي عليه بأي حال من الأحوال، وهي الحق الذي لا يُملك ولا يجوز إسقاطه حتى من صاحب الحق ولا يجوز التعدي عليه؛ وهذه القوانين والتشريعات لها نفس الأصالة والسيادة والمحورية والحاكمية في الوجود بين المخلوقات التي للقيم الرسالية.

٢. قوانين وتشريعات شرّعت لتمكين الإنسان من التحلّي بالقيم الرسالية: كالصوم الذي يُروّض نفس الإنسان ويُجلّيه بالصبر ويشحذُ عزيمته بالإرادة، والحج الذي يصقل إرادة الإنسان ويعده للتضحية، والوضوء الذي يطهّر الإنسان

ويهيئه للخضوع والتواضع، وهذه القوانين والتشريعات لها نفس الأصالة والسيادة والمحورية والحاكمية في الوجود بين المخلوقات التي للقيم الرسالية؛ ولكن محوريته وحاكميتها مشروطة باستطاعة الإنسان فتسقط مع عجزه وافتقاده القدرة.

٣. قوانين وتشريعات شرّعت لأجل حفظ وتنظيم حياة الإنسان الفرد والمجتمع: كأحكام القضاء، والحقوق الإلزامية، وهذه القوانين والتشريعات لها نفس الأصالة والسيادة التي للقيم الرسالية في الوجود بين المخلوقات، ولكن محوريته وحاكميتها إما مطلقة وعامة كبعض الحدود التي لا يجوز تعطيلها، أو خاصة ومقيّدة بطلب صاحب الحق.

٤. قوانين وتشريعات شرّعت لأجل تنظيم وتسهيل حياة الإنسان: كالمباحات غير الإلزامية الثلاثة: المكروهات والمستحبات والمباحات غير الراجحة، وهذه القوانين والتشريعات وإن كان لها نفس الأصالة والسيادة في الوجود بين المخلوقات التي للقيم الرسالية إلا أنه لا محورية لها ولا حاكمية لها على الإنسان إطلاقاً.

والخلاصة أن كلّ القوانين السماوية والتشريعات الإلهية لها أصالة وسيادة بنفس رتبة القيم الرسالية، ولكن هناك قوانين وتشريعات لها محورية وحاكمية بنفس رتبة القيم الرسالية، وهناك قوانين وتشريعات لها محورية وحاكمية بنفس رتبة

القيم الرسالية ولكن محوريّتها وحاكمتها مشروطة باستطاعة الإنسان، وهناك قوانين وتشريعات محوريّتها وحاكمتها إما مطلقة وعامة، أو خاصة ومقيّدة، وهناك قوانين وتشريعات ليس لها محورية ولا حاكمة على الإنسان إطلاقاً.

المصدر الثاني: هو الفكر البشري:

إنّ أهمية وضرورة وشرعية القيم البشرية التي استلهمها الفلاسفة والحكماء والعرفانيون، وكذلك القوانين الوضعية التي سنّها المشرّعون والفقهاء تُقاس عند واضعيها بقدر خدمتها للإنسان وتلبيتها لحاجياته الماديّة والمعنويّة وتطلّعاته السامية وأهدافه المشروعة.

ولذا فإنّ كلّ قانون وضعي أو قيمة بشرية لا تُخدم الإنسان تفقد قيمتها واعتبارها وشرعيّتها عند واضعيها ومشريّتها، فالإنسان هو الأصل والمحور لاعتبارية القيم البشرية والقوانين الوضعية، وهو الأصل والمحور لأهميتها وربّتها عند واضعيها ومشريّتها، فالقانون الوضعي والنظم والديساتير كلها لا تُشرّع إلّا لأجل خدمة الإنسان، فلا شرعية ولا أهمية لأيّ قانون أو نظام أو دستور لا يُخدم الإنسان ويلبي حاجياته ويحقّق كرامته وحرّيته، فالإنسان هو الأصل والمحور والسيد وبقدر خدمة الأشياء له تقاس اعتباريتها وقيمتها.

فأصالة الإنسان ومحوريته وسيادته حاكميته على أصالة ومحورية القيم البشرية والقوانين الوضعية ولذلك تكون أصالة الإنسان ومحوريته وسيادته حاكمة على الأشياء بطريق أولى لأنَّ أصالة القيم البشرية والقوانين الوضعية ومحوريتها وسيادتها حاكمة على الأشياء كما يدّعي واضعو القيم البشرية، ومشرعي القوانين الوضعية؛ فالإنسان هو الأصل والمحور والسيد على الأشياء، وليس القيم البشرية، والإنسان هو الأصل وليس القانون الوضعي أو النظام السياسي، والإنسان هو الأصل والمحور والسيد وليس التقاليد والعادات والأعراف الاجتماعية، والإنسان هو الأصل وليس الوطن والأرض، والإنسان هو الأصل والمحور والسيد وليس الأشياء.

ولكنَّ هذه القيم البشرية والقوانين الوضعية لا تكتسب شرعيتها إلا حينما تتوافق كاملاً مع قيم الرسالة، ووحى السماء؛ فلا شرعية لأي قيمة ولا أي قوانين إلا إذا وافقت وحي السماء؛ فالقيم البشرية والقوانين الوضعية التي تخالف وحي السماء وقيم الرسالة ما هي إلا قوانين جاهلية وفسق وضلال، ويجب أن تقتلع وتجتث ويضرب بها عرض الحائط، ويُرْمى بها في بحيرات تصريف المياه التنتة.

وأما القيم البشرية والقوانين الوضعية التي توافق وحي

السماء هي قيم سماوية وقوانين رسالية وتشريعات إلهية ولا تسمى قيم بشرية وقوانين وضعية إلا مجازاً وغفلة، فتكون لها حينئذٍ الأصالة والسيادة على الإنسان والأشياء والوجود، وتكون لتلك القوانين المحورية والحاكمية على الإنسان بحسب نوعها كما مرَّ بيانه سابقاً.

وكلّ الأشياء خُلِقَتْ وسُخِّرَتْ لأجل خدمة الإنسان، فالبحر والسفن التي تجري فيه بمشيئة الله، والسماء وما فيها، والأرض وما فيها جميعاً سُخِّرَ للإنسان؛ ولكن لا يدرك ولا يفقه أن الإنسان هو الأصل والمحور والسيد على كلِّ الأشياء بما فيها القيم البشرية والقوانين الوضعية فضلاً عن غيرها إلا أهل التعقل والتفقه والتفكير، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وهكذا خَلَقَ اللهُ تعالى السماوات والأرض والماء والثمرات، وسَخَّرَ الأنهار والشمس والقمر والليل والنهار، ومكَّنَ الإنسان، وأعطاه القدرة على الصناعة والاختراع والإبداع لكلِّ شيء يسعى لصناعته واختراعه وإبداعه و.. و.. وما يعجز الإنسان عن إحصائه، ولا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى

(١) الجاثية، ١٢-١٣.

من الأشياء التي خلقتُ وسُخِّرْتُ للإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١).

إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الأرض وما فيها للإنسان، وجعل الإنسان أصلاً ومحوراً وسيداً على الأرض، وجعلها أفضل الكواكب وسيدتها، وضمَّنها ما حوت من الخيرات والبركات التي لا تعدُّ ولا تحصى، ولا تزداد بكثرة الأخذ منها إلاَّ جوداً وكرماً ونعماً تتجدد من عطاء الله وفضله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الإنسان، وجعله دون غيره سيداً وقيماً وخليفة الله على هذه الأرض المباركة، وبهذا الجعل أصبح الإنسان هو الأصل والمحور والسيد للمخلوقات جميعاً.

(١) إبراهيم ٣٢-٣٤.

(٢) البقرة، ٢٩.

ولذلك كان من البديهي أن تسأل الملائكة ربّها استفهاماً لا استنكاراً عن أساس اختيار الإنسان للخلافة دونهم، أليس هو العقل الذي به تتحقق التقوى التي هي أساس التفضيل والتكريم والاختيار للخلافة في الأرض والأصالة والمحورية والسيادة للمخلوقات؟

وإذا كان الجواب كذلك وهو كذلك فالحال أنّ الإنسان وإن وهبه الله العقل إلاّ أنّه مركّب من العقل العاصم لمنّ اتبعه من الزلل والخطل، ومن الشهوة التي بطبيعتها تحجب العقل وتُغيب التقوى، وهذا سيجعل من طبيعة الإنسان الفساد العام والشامل للبلاد والعباد، ويهلك الحرث والنسل، ويقوم بسفك دماء الأبرياء؛ فإذا كانت هذه حقيقة، وهي كذلك، فإنّ طبيعة الإنسان المركّبة من عنصر الشهوة لا تتناسب والخلافة في الأرض والأصالة والمحورية والسيادة للمخلوقات، على العكس من الملائكة الذين وهبهم الله العقل، ولم يتلهم بالشهوة؛ ولذلك هم أولى بالتكريم والتفضيل للخلافة في الأرض والأصالة والمحورية والسيادة للوجود، لأنهم هم المسبّحون بحمد الله والمقدّسون له، وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

ولكن الله سبحانه وتعالى بيّن للملائكة ما خفي عليهم من أن وحي السماء الذي يغذي العقل بالعلم كفيل بغلبة العقل على الشهوة، وبتقوية العقل وتمدده عمودياً وأفقياً، وكمياً ونوعياً، ومتجاوزاً للمكان والزمان.

وهذا ما جعله الله سبحانه وتعالى للإنسان دون الملائكة، حيث عَصَدَ اللهُ سبحانه وتعالى عقل الإنسان بوحي السماء، وعِلْمَ الرِّسَالَةِ مما جعله أهلاً للخلافة والأصالة والمحورية والسيادة، فلما رأت الملائكة ذلك العقل الممتلئ بالعلم بجلاء ووضوح ازدادت تسليماً لله، وقبولاً بخلافة الإنسان وأصالته ومحوريته وسيادته للمخلوقات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢﴾.

وحينما سلّمت الملائكة لخالقها، وأعلنت قبولها لخلافة الإنسان وأصالته ومحوريته وسيادته على المخلوقات أمرها الله

(١) البقرة، ٣٠.

(٢) البقرة، ٣١-٣٣.

بالخضوع للإنسان وخدمته ليكون الخليفة لله سبحانه وتعالى والأصل والمحور والسيد لجميع الأشياء، فاستجابت الملائكة لأمر ربها، وخضعت لإرادة الإنسان، فسجدت للإنسان عبر تسخير كل إمكانياتها وقدراتها التي وهبها الله سبحانه وتعالى لها لتدبير أمور الكون وشؤونه، والتحكم في حركته وسكونه؛ لتكون طَوْعَ إرادة الإنسان ورهن اشارته، ما عدا إبليس الذي أوكل بتدبير النفس الإنسانية أبقى واستكبر، واستعلى على الحق، وعصى أمر ربه، ورفض السجود والخضوع للإنسان وأعلن عداوته له، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وبعد خضوع الملائكة للإنسان أمره الله تعالى أن يسكن جنة الدنيا، ليكون هو الخليفة والأصل والمحور والسيد فيها وسخرها له ليتصرف في كل ما فيها من بساتين الرشد والهدى، وأشجار العلم والمعرفة، وأنهار الطهارة والتقوى، وقصور البناء والإعمار، و... ما عدا الشجرة التي تغذي النفس بنهم الهوى والشهوة، وبأنواع الظلم من الجهل والحسد والنفاق والفساد وحب الرئاسة والزعامة والعدوان والطغيان و... ولكن الشيطان لم يدع الإنسان حراً، فحرّك جماع شهوته وهواه، وغرّره إلى أن أكل من شجرة الظلم،

(١) البقرة، ٣٤.

فحجبت عقله، وحالت بينه وبين قدراته العلميّة، فأنكشفت وبانّت سوءاته الحيوانية، وتحكّمت في تفكيره وأفكاره وأعماله، وشكّلت تطلعاته ورؤاه وسلوكيّاته، فعجز عن تسخير جنّة الدنيا وما فيها من خيرات الهدى للتي هي أقوم، فأهبط إلى الأرض ليتمكّن عبر وحي السماء، وهدى الرسالة من استكمال عقله، واسترداد قدراته عندما يغترف العلم من معين الوحي، ويعرف أنّ الشيطان هو العدو، ويجب التغلب على كيده الضعيف، لتحرّر النفس من أصر الهوى، وأغلال الشهوات، فيتمكن من تسخير الأرض وما فيها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١).

ومباشرة بعد أن أهبط الإنسان على الأرض تلقى من ربه علم الوحي الذي به يُثار العقل من السبات، وهنا الإنسان ذاته هو الذي يحدّد بإرادته واختياره أهليته للخلافة في الأرض، وسيادته على الأشياء بالاستجابة لرشد العقل، واتباع هدى السماء، أو عدم أهليته للخلافة في الأرض وعبوديته للأشياء بتأليه الهوى وتكذيب الوحي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

(١) البقرة، ٣٥-٣٦.

الرَّحِيمِ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

إنَّ الطريق للاصطفاء من ثقل الدنيا والمادة، ومن ثمَّ العروج إلى ملكوت الله عزَّ وجلَّ لرؤية الحقائق كما هي من دون تشويش ولا ضبابية، ومن ثمَّ السيادة والهيمنة على الكون والأرض من علو السماء، وتسخير جميع الأشياء مما في السماء والأرض يتحقق من خلال الأخذ بكلِّ مواعظ رسالة السماء، وتفصيلات كلام الله سبحانه وتعالى بجِدِّ وقوة، ومن دون تردد ولا مدهانة ولا تبعيض، وبسعة المرونة باختيار الأحسن الذي يناسب الظرف والموضوع؛ وهنا ستتكشف السوءة، والمكانة المنحطة والمتهاوية للإنسان الفاسق الذي خرج عن محيط الكرامة الإنسانية بتكبره على آيات الله، وتأليهه للهوى، وتكذيبه لوحي السماء، واستبداله الذي هو غيِّ وعبودية بالذي هو رشد وكرامة؛ ولذلك لم يتخذ طريق الرشده والكرامة شريعة لحياته، وإنَّما اتخذ طريق الغيِّ والعبودية شرعة لأهوائه وشهواته؛ فأفسد خلافة الإنسان في الأرض وغيب أصالته وألغى محوريته وأهوى بسيادته فأمسى الإنسان عبداً للأشياء في مستنقع الوهم باسم القانون (الوضعي) والدستور

(الشكلي) والنظام (الجائر) وفي وحل الظلام باسم الحزبية والوطنية والقومية و... وبات يعيش الضياع والتهيه والضلال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَّا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءَ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

معنى الوطن في اللغة والعرف

17

في البدء ما معنى الوطن في اللغة والعرف؟

نستطيع أن نعرّف الوطن في اللغة والعرف بأنّه (المكان والبلد الذي اتّخذَه الإنسان مقراً للإقامة الدائمة، أو شبه الدائمة باللبث الطويل) كما جاء في كتب اللغة التالية: معجم لغة الفقهاء لمحمّد قلعجي، ومعجم ألفاظ الفقه الجعفري للدكتور أحمد فتح الله، وكتاب العين للخليل الفراهيدي، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، ومختار الصحاح لمحمّد بن عبد القادر، ومجمع البحرين للشيخ الطريحي، وتاج العروس للزبيدي والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

الاستيطان، الوطن، التوطن:

* الاستيطان: من وَطَنَ وهو اللبث الطويل والإقامة الدائمة أو شبه الدائمة في مكان ما، اسْتَوطنَ الْبِلَادَ: اتَّخَذَهَا وَطَنًا لَهُ.

* الوطن: البلد والمنزل الذي يقيم به الإنسان ويعيش فيه، وهو منزل الإقامة والمكان والمحل والموطن الذي يسكن فيه

الإنسان، وكلّ بلد استوطنه الإنسان: أي اتخذته مستقراً دائماً
أو شبه دائمٍ لنفسه فهو وطن له، والجمع أوطان^(١).

وَوَطَنَ بِالْمَكَانِ: يَطْنُ وَطْناً وَأَوْطَنَ: أَقَامَ^(٢).

وَأَوْطَنْتُ الْأَرْضَ: وَوَطَّئْتُهَا تَوَطَّيْنَا، وَاسْتَوْطَنْتُهَا: أَيِ اتَّخَذْتُهَا
وَطْناً، وَكَذَلِكَ الْأَطْنَانُ، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنْهُ^(٣).

وَأَوْطَانُ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ: مَرَابِضُهَا وَأَمَاكِنُهَا الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا
وَهُوَ مَجَازٌ؛ قَالَ الْأَخْطَلُ:

كُرُّوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ تَعْمُرُوهُمَا

كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ^(٤)

وَالْمِيطَانُ، بِالْكَسْرِ: الْغَايَةُ. يُقَالُ: "مِنْ أَيْنَ مِيطَانِكَ"،
أَيِ غَايَتِكَ^(٥).

وَالْمِيطَانُ: مَوْضِعٌ يُوَطَّنُ لِتُرْسَلِ مِنْهُ الْحَيْلُ فِي السَّبَاقِ،
وَهُوَ أَوَّلُ الْغَايَةِ، وَالْمِيتَاءِ وَالْمِيدَاءِ آخِرُ الْغَايَةِ^(٦).

(١) مجمع البحرين، ج ٦، ص: ٣٢٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٦.

(٣) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

(٤) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٧.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٧.

والمِيطَان: هو المِيدَان، وجمعه مِيَاطِين.

وَمِيطَانٌ، بِالْفَتْحِ: مِنْ جِبَالِ الْمَدِينَةِ لِمُزَيْنَةِ وَسَلِيمٍ^(١).

والمَوْطِن: مفعول منه، والمَوْطِن كالمجلس وهو الوطن أو المنشأ، أو المكان، أو النقطة، والموطن يسمى به المشهد من مشاهد الحرب، وجمعه المَواطِن كالمشاهد والمجالس.

والمَواطِنُ مِنَ الْحَرْبِ: مَشَاهِدُهَا، كالمَشَاهِدِ، وهو مجازٌ، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(٢).. ومنه الحديث: «أَصْدَقُ النَّاسِ مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ»^(٣)، وقالَ طَرَفَةُ:

عَلَى مَوْطِنٍ يَحْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى

مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ^(٤) تُرْعَدُ^(٥)

المَواطِنُ: كُلُّ مَقَامٍ قَامَ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَمْرٍ فَهُوَ مَوْطِنٌ لَهُ، كَقَوْلِكَ: "إِذَا أَتَيْتَ فَوْقَ فِتْةٍ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ فَادْعُ اللَّهَ لِي وَلِإِخْوَانِي"^(٦).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٧.

(٢) : التوبة، ٢٥.

(٣) مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٢٦.

(٤) الفريضة : لحمه بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٧.

(٦) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

وفي صفته ﷺ: كان لا يوطن الأماكن^(١)، أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يُعرف به، وأنه ﷺ نهى عن إيطان المساجد، أي اتخاذها وطيناً..^(٢)

وأنه ﷺ نهى عن أن يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير، ومعناه أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد مخصوصاً به يصلي فيه كالبعير لا يأوي من عطن^(٣) إلا إلى مبرك دمث^(٤) قد أوطنه واتخذة مُناخاً.^(٥)

و موطن مكة: موافقها.^(٦)

مواطن التحلل: أعمال الحج التي بعدها يحل للمحرم كل ما حرم عليه بالإحرام، وهي ثلاثة:

* الأول: عقيب الحلق أو التقصير، فيحل كل شيء إلا الطيب والنساء للرجال، والرجال للنساء، والصيد.

* والثاني: بعد طواف الزيارة وركعتيه والسعي فيحل له الطيب.

(١) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١٥٢.

(٢) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

(٣) العطن: مبرك الإبل ومربض الغنم عند الماء.

(٤) مكان دمث: لين سهل.

(٥) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

(٦) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

* والثالث: بعد طواف النساء وركعتيه فيحل للرجل النساء وللنساء الرجال.^(١)

مواطن النزال: المواطن المعدة لنزول القوافل والمتردين.^(٢)

واطنه على الأمر: أضمر فعله معه^(٣)، وواطنت فلاناً على هذا الأمر، أي: جعلتها في أنفسكما أن تعملاه وتفعلاه، فإذا أردت: وافقته قلت: واطأته.^(٤)

أصل التوطين والتوطن اتخاذ الوطن، ثم تجاوز به عن عدم القلق والضجر.

و تَوَطَّيْنُ النَّفْسِ: تَمَّهَيْدُهَا.

و تَوَطَّنَهَا: تَمَّهَدَهَا، فتوطين النفس على الشيء: كالتمهيد لها.

و طَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الشَّيْءِ وَلَهُ فَتَوَطَّنَتْ: حَمَلَهَا عَلَيْهِ فَتَحَمَّلَتْ وَذَلَّتْ لَهُ، قَالَ كَثِيرٌ:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ

إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ص ٤١٤.

(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ص ٤١٤.

(٣) لسان العرب، ج ١٣، ص: ٤٥١.

(٤) كتاب العين، ج ٧، ص: ٤٥٥.

ومما يستدرك عليه:

اتَّطَنَهُ: أَقَامَ بِهِ، افْتَعَلَ مِنَ الْوَطَنِ.

وَتَوَطَّنَهُ وَتَوَطَّنَ بِهِ لِأَزْمٍ مُتَعَدِّ (١)

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص: ٥٧٧.

معنى الوطن في المصطلح الشرعي

18

ما الوطن في الاصطلاح الشرعي عند الفقهاء؟

ليس للفقهاء تعريف شرعي خاص للوطن، وحينما يحكمون بأن المرور على الوطن قاطع للسفر وموجب للتمام إنَّما يعتمدون التعريف اللغوي العرفي للوطن: وهو المكان الذي يتخذه الإنسان مسكناً ومقراً دائماً له أو لمدة مديدة كعشرين سنة أو حتى ستين.

ويعتبرُ في صدق الوطن الإقامة فيه ستة أشهر، أو شهراً، أو أقل، بل يصدق -على رأي- حتى بالنية وتهيئة وسائل الإقامة كتأثيثه.

إذاً الوطن اصطلاحاً هو: البلد الذي يخص الإنسان بأحد الأنواع أو الأوجه التالية:

أ. وطن أصلي وهو قسمان:

١- البلدة التي هي وطنه تاريخياً، أي مسكن أبويه وعائلته وتكون مسقط رأسه عادة، وحينما يراد أن ينسب إلى بلدة عرفاً ينسب إليها.

٢- البلدة التي يقيم فيها إقامة دائمة ويتخذها وطناً

له ومقاماً مدى الحياة، فالإنسان الذي يقرّر الهجرة إلى بلدٍ ما والإقامة فيها بقية حياته تكون هذه البلد وطناً له.

ب. **وطن إقامة:** وهو البلدة التي يتخذها مقرأً له من غير أن يقيم فيها إقامة دائمة، وإنّما نوى الإقامة فيها مدة مؤقتة من الزمن ولكنها مدة طويلة نسبياً، كالطالب الجامعي الذي يتخذ المدينة التي فيها الجامعة مقرأً له مدة دراسته التي تستغرق مدة طويلة نسبياً، وهكذا الموظف الذي يتخذ البلد التي فيها الوظيفة مقرأً له مدة وظيفته التي تستغرق مدة طويلة نسبياً.

ج. **وطن سُكْنَى:** البلد المؤقت الذي يقيم فيه مدة غير طويلة أو لا تُعرف المدة التي يقضيها في ذلك البلد، وفيه بيت وسكن من لا وطن له كحال الموظف المتنقل حسب ما تفرضه عليه وظيفته.

فتاوي وأحكام شرعية عن الوطن:

* إذا أعرض عن وطنه الأصلي أو المستجد وتوطن في غيره زال عنه حكم الوطنية، أما إذا كان له فيه ملك وقد سكن فيه مدة من الزمن بعد اتخاذه وطناً له فهو بحكم الوطن العرفي وإن أعرض عنه، ويسمّى بالوطن الشرعي، وعلى رأي أنّ الوطن الشرعي غير ثابت، لما مرّ سابقاً من أنّه ليس للفقهاء

تعريف شرعي خاص للوطن.

* يمكن تعدد الوطن العرفي بأن يكون له منزلان في بلدين أو قريتين من قصده السكنى في كلّ منهما مدة من السنة، بل يمكن ثلاثة منازل بل لا يبعد الأزيد.

* يزول حكم الوطنية بالإعراض والخروج وإن لم يتخذ وطناً آخر فيمكن أن يكون بلا وطن مدة مديدة.

* ومن خلال ما مضى يكون للوطن حدود جغرافية محدودة جداً وضيقة أيضاً، وهي خاضعة للعلاقات الاجتماعية، والعمران السكني فقط؛ وعليه فالإنسان الذي يسكن في مدينة صفوى مثلاً لا تكون العوامية فضلاً عن القطيف أو الدمام أو الخبر أو الرياض أو جدة أو غيرها وطناً له إلا إذا اتخذها سكناً ومقرّاً له بالشروط السابقة.

وفي المقابل إذا استوطن الإنسان أي اتخذ بلداً ما سكناً ومقرّاً له سواء للدراسة أو العمل أو أي شيء آخر بالشروط السابقة، وسواء كان في بلد عربي أو إسلامي أو غربي أو شرقي أو أي بلد ما على هذه الأرض يكون هذا البلد وطناً له ولو كان البلد في الفاتيكان.

فالوطن أمر عرفي وتحققُ مصداقه خاضعٌ للسكن، وتحقق حدوده خاضعٌ للعمران السكني.

العلاقة بين هوية الإنسان والهوية الوطنية

19

الهوية الوطنية: هي قطعة أرضٍ من ترابٍ وكفى، لتكون مأوى أو مشوى للإنسان.

ولذلك حتى تضاريس الأرض من الماء والجبال والصحاري والبحار والأنهار والتلال والبراري والأشجار والبيوت لا دخل لها في تشكيل الهوية الوطنية.

ولذلك لا يمكن أن يكون وطن وموطن الإنسان جزءاً من تشكيل وتكوين هوية الإنسان الفرد والمجتمع، ولا يمكن أن يكون لهوية الوطن تدخل في تشكيل وتكوين هوية الإنسان الفرد والمجتمع، ولا يمكن أن يحدث خلل لهوية الإنسان الفرد والمجتمع إذا أُلغى ورفض الهوية الوطنية، وليس لهوية الوطن قيمة حقيقية ولا اعتبارية تكمل هوية الإنسان الفرد والمجتمع.

وقد يتفلسف سفيه من السفهاء ويزعم جهلاً وسفاهة وزوراً بأنّ الهوية الوطنيّة هي النظام السياسي الذي يحكم البلاد، أو أنّ الهوية الوطنيّة هي النظام الاجتماعي الذي تعارف عليه الناس؛ ولكن هذا السففيه يغفل جهلاً أو يتغافل

سفهاً بأن من المهام الرئيسية والأساسية للرسول النبي الأمي هي اقتلاع وتهشيم الأنظمة السياسية والأنظمة الاجتماعية التي تكبل الإنسان وتستعبده، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

إن الأنظمة السياسية التي شيدها الطغاة على جماجم الأحرار لم تحصد منها المجتمعات إلا الظلم والبغي والعدوان والاضطهاد والجور والطغيان؛ أما الأنظمة الاجتماعية فما هي إلا العادات الجاهلية والتقاليد البالية التي شيدها قوى ومصالح وغلبة المفسدين من الملاء والأعيان والوجهاء على حساب المستضعفين والضعفاء من الناس الذين لم يحصدون منها إلا العبودية والاستضعاف.

وليست هوية الأنظمة السياسية المعاصرة إلا العبودية للطاغوت الذي لا يؤمن به إلا من حقت عليه الضلالة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

(١) الأعراف، ١٥٧.

الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١﴾.

وليست هوية الأنظمة الاجتماعية في هذا الزمان إلا الاقتداء بالأمة الجاهلية للآباء التي لا تهدي إلا إلى الضلال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أُولَٰئِكَ لَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَاءَكُمْ أَن تُبَدِّلُوا مَا كَانُوا عَلَىٰ فِيهِ مِنَ الْإِسْمِ الْغُلُوبِ * فَاصْلُوبْهُمْ أَنِيبُوا مِنِّي لَأَنْزِلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا مِّن مَّاءٍ غَافِقٍ يُغْشِي السَّيْرَ * وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُكْذِبِينَ ﴿٢﴾.

وكل الأنظمة السياسية والاجتماعية ما هي إلا استلاب لاستقلال وشخصية الإنسان ومسح لهويته الإنسانية. ومن السفاهة والجهالة والحماقة والتخلف العقلي والانحطاط الفكري أن تُربط هوية الإنسان بهوية الوطن، سواء قلنا إن الوطن هو التراب أو كما زعموا أن الوطن هو النظام السياسي أو النظام الاجتماعي، ولا يربط بين الهويتين إلا سفيه وجاهل وأحمق ومتخلف عقلي. ومن المعيب والعار والجهالة على المثقفين أن ينهقوا وينهقوا بربط هوية الإنسان بهوية الوطن.

(١) النحل، ٣٦.

(٢) الزخرف، ٢٢-٢٥.

ما هو المراد من الوطن في الروايات؟

20

في البدء وقبل بيان المراد من الوطن في الروايات لابد من التنبيه إلى أن القاعدة الأساسية لقبول أي رواية هي موافقة الرواية للقرآن وعدم مخالفتها له، فإذا خالفت الرواية القرآن وأمكن بالدليل الشرعي أو العقلي تأويل معناها بما يوافق القرآن، ولا يخالفه قبلياً، وإلا فهي زخرف ويضرب بها عرض الحائط.

ولذلك يشترط أن تكون الروايات التي ذكرت الوطن أو الكلمات المرادفة للوطن غير مخالفة للقرآن حتى تكون مقبولة ولها حجة شرعية.

ومن الآيات التي تُعرض روايات الوطن عليها، لمعرفة موافقتها للقرآن، أو مخالفتها له قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(١).

وهذه الآية صريحة وواضحة في سلب القيمة الذاتية للوطن، وإعطائه قيمة حيثية؛ فالوطن بحدوده الجغرافية الطبيعية، أو المصطنعة، لا قيمة له إلا من حيث تمكين الإنسان من تحقيق أهدافه المشروعة من العيش الكريم الذي يُؤمّن له الكرامة والعدالة والحرية والأمن، ويلبّي حاجياته الطبيعية التي تتدخل في تكوين سعادته ببركة رفاه العيش الكريم من سعة الرزق الحلال الذي يُمكن الإنسان من تكوين الأسرة الصالحة، وتشيد المنزل الواسع، وامتلاك الكماليات الحياتية، فضلاً عن ضروراتها؛ فليس هناك في منطق الوحي ولا في قاموسه شيء اسمه ولاء للوطن أصلاً، بل ولا أفضلية لوطن على وطنٍ إلا بقدر ما يحقق هذا الوطن أهداف الإنسان وحاجياته، وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ»^(٢).

وورد في الحديث «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله؛ فحيثما أصبت خيراً فأقم»^(٣).

(١) النساء، ٩٧-١٠٠.

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٤٤٢.

(٣) نهج الفصاحة، ص ٣٧٧.

من خلال هذه البصيرة القرآنية نستطيع أن نقول إنَّ الوطن الممدوح في الروايات إمَّا يعني كلَّ شبر من الأرض كان تحت حكم الدولة الإسلامية التي منها فلسطين والأندلس، وإمَّا يعني البلد الذي يُحْكَم فيه بالحق والعدالة وبعموم شريعة الإسلام، وإمَّا يعني الوطن الجغرافي بالمعنى اللغوي العرفي الذي يلبي حاجيات الإنسان الطبيعيَّة وأهدافه ولم يسلبه حرّيته في ممارسة عقيدته، وهو كلُّ أرض يتمكّن فيها المسلم من ممارسة شعائره، وبهذا لن يكون للوطن الإسلامي حدود جغرافية وإنّما حدوده وثغوره هي العقيدة الإسلامية التي لا تحدّ بزمان ولا مكان.

وإنَّ الوطن المذموم في الروايات يعني الوطن الذي يُحوّل بين الإنسان وأهدافه فيسلبه كرامته أو حرّيته أو أمنه أو العدالة أو حقاً من حقوقه، أو يعني الوطن الذي يُحْرِمُ الإنسان من حاجيّاته الطبيعيّة من رفاه العيش.

وإنَّ الوطن الذي لا هو مذموم ولا ممدوح وغالباً يأتي بصيغة موطن أو مواطن يعني الحيز المكاني أو الزماني أو الموضوعي، وسواء كان في الدنيا أو البرزخ أو الآخرة.

وبعد هذا البيان يمكننا أن نقرأ كلَّ الروايات الواردة عن الوطن بعين هذه البصيرة التي تهدي إلى نور الحقيقة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الْغِنَى فِي الْعُرْبَةِ وَطَنٌ وَالْفَقْرُ فِي

الْوَطَنِ غُرْبَةً»^(١).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «الْفَقِيرُ فِي الْوَطَنِ مُمْتَهَنٌ»^(٢).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «لَيْسَ فِي الْغُرْبَةِ عَارٌ، وَإِنَّمَا الْعَارُ فِي الْوَطَنِ
الْإِفْتِقَارُ»^(٣).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «شَرُّ الْأَوْطَانِ مَا لَمْ يَأْمَنَ فِيهِ الْقَطَانُ»^(٤).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «عُمِّرَتِ الْبُلْدَانُ بِحُبِّ الْأَوْطَانِ»^(٥).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «الْعَقْلُ فِي الْغُرْبَةِ قُرْبَةٌ، الْحُمُقُ فِي الْوَطَنِ
غُرْبَةٌ»^(٦).

وقال عَالِي السَّلَاةِ: «مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ بُكَاءُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ
وَحَيْنُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَحِفْظُهُ قَدِيمِ إِخْوَانِهِ»^(٧).

(١) نهج البلاغة، حكمة ٥٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٧٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٥٦٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤١٠.

(٥) تحف العقول، ص ٢٠٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٩.

(٧) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٦٤.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مِنْ ضَيْقِ الْعَطَنِ ^(١) لَزُومُ الْوَطَنِ» ^(٢).

قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ أَعْطِنِي... الْأَمْنَ فِي الْوَطَنِ» ^(٣).

قال الرسول ﷺ: «يَا عَلِيُّ: لَا خَيْرَ فِي... الْوَطَنِ إِلَّا مَعَ الْأَمَنِ وَالسُّرُورِ» ^(٤).

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا خَيْرَ فِي الْوَطَنِ إِلَّا مَعَ الْأَمَنِ وَالْمَسَرَّةِ» ^(٥).

قال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَيَّ وُلاةَ عَهْودِهِ... الَّذِينَ سَلَوْا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، وَتَجَافَوْا الْوَطْنَ، وَعَظَلُوا الْوَثِيرَ» ^(٦) مِنْ الْمِهَادِ، قَدْ رَفَضُوا تِجَارَاتِهِمْ، وَأَضْرَبُوا بِمَعَايِشِهِمْ، وَفَقِدُوا فِي أُنْدِيَتِهِمْ بَعْضَ غَيْبَةٍ عَنْ مِضْرِهِمْ، وَحَالَفُوا ^(٧) الْبَعِيدَ مِمَّنْ عَاضَدَهُمْ

(١) الْعَطَنُ: مَبْرُكُ الْإِبِلِ وَمَرَبُضُ الْغَنَمِ عِنْدَ الْمَاءِ، وَصَرَبَ فُلَانٌ بَعَطَنَ: رَوَى إِبْلَهُ ثُمَّ أَقَامَ عَلَى الْمَاءِ.

ضرب القوم بعطن إذا أناخوا حول الماء بعد السقي، ومن المستعار: فلان واسع العطن إذا كان رحب الذراع، واسع الصبر والحيلة عند الشدائد، سخي كثير المال.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٧٢.

(٣) مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، ج ٢، ص ٥٩٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٥٨.

(٥) الاختصاص، ص ٢٤٤.

(٦) فِرَاشٌ وَثِيرٌ: وَطِيءٌ، لَيْسَ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَلَسْتَ عَلَيْهِ أَوْ نَمْتَ عَلَيْهِ فَوَجَدْتَهُ وَطِيئاً فَهُوَ وَثِيرٌ.

(٧) حالف فلاناً: لازمه، الحليف: كل شيء لزم شيئاً فلم يفارقه.

عَلَى أَمْرِهِمْ، وَخَالَفُوا الْقَرِيبَ مِمَّنْ صُدَّ عَنْ وَجْهِتِهِمْ، وَاتْتَلَفُوا بَعْدَ
التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ فِي دَهْرِهِمْ، وَقَطَّعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِعَاجِلِ
حُطَامِ مِنَ الدُّنْيَا... وَأَمَلًا بِهِمْ كُلِّ أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ وَقُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ
قِسْطًا وَعَدْلًا وَرَحْمَةً وَفَضْلًا»^(١)

ومن دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قنوته وقد
أمر أهل قم بذلك: «الْحَمْدُ لِلَّهِ شَاكِرًا لِنِعْمَائِهِ... الَّذِينَ سَلَّوْا عَنِ
الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَجَفَّوْا الْوَطْنَ»^(٢).

قال الرسول ﷺ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشْهَدَكَ مَعِيَ فِي
سَبْعَةِ مَوَاطِنَ»^(٣).

وقال عليه السلام: «يَا عَلِيُّ إِنِّي رَأَيْتُ اسْمَكَ مَقْرُونًا بِاسْمِي فِي
أُزْبَعَةِ مَوَاطِنَ»^(٤).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: في الحديث المشتمل على مواطن
يوم القيامة: «ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ فَلَا يَزَالُونَ يَبْكُونَ الدَّمَ»^(٥).

وقال عليه السلام: «لُعِنَ أَبُو سَفِيَانَ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ»^(٦).

(١) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص: ٥١٨-٥١٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٢٢٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٩.

(٥) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٣٣.

(٦) غرر الاخبار، ص ٢٤٤.

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَمْتَحِنُ الْأَوْصِيَاءَ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ»^(١).

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَزُرْهُ وَأَنْتَ حَزِينٌ مَكْرُوبٌ شَعِثٌ مُغَبَّرٌ جَائِعٌ عَطْشَانٌ وَسَلُهُ الْحَوَائِجَ وَأَنْصِرْفَ عَنْهُ وَلَا تَتَّخِذْهُ وَطَنًا»^(٢).

قال الإمام علي عليه السلام في صفة الموتى: «أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُؤْتِنُونَ وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ»^(٣).

وقال عليه السلام في صفة الموتى أيضاً: «لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ»^(٤).

وقال عليه السلام في صفة الدنيا: «وَلِنِعْمَ مَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُؤْطِنْهَا مَحَلًّا»^(٥).

قال الإمام علي عليه السلام: «اغزوهُم قَبْلَ أَنْ يَغزُوكم، فَوَاللَّهِ مَا غزِي قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَادَلْتُمْ حَتَّى سُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمِلَكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ»^(٦).

(١) بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ١٦٨.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٥٨٧.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٨٨.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٢٢٦.

(٥) نهج البلاغة، خطبة ٢٢٣.

(٦) الكافي ج ٥، ص ٥.

روي: «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

(١) ذُكِرَت جُمْلَةُ «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ» فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ الشَّيْعِيَّةِ دُونَ أَنْ يُذْكَرَ لَهَا سَنَدٌ، مِنْهَا:

سَفِينَةُ الْبَحَارِ، ج ٨، ص ٥٢٥:

قَالَ الْمَصْنَفُ: «قَالَ شَيْخُنَا الْحَرَّ الْعَامِلِي قَدَّسَ سِرَّهُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِ (أَمَلِ الْإِمْلِ): قَدْ عَزَمْنَا عَلَى تَقْدِيمِ ذِكْرِ عُلَمَاءِ جَبَلِ عَامِلٍ عَلَى بَاقِيِ عُلَمَائِنَا الْمَتَأَخِّرِينَ لَوُجُوهِهِ، أَحَدُهَا قَضَاءُ حَقِّ الْوَطَنِ لِمَا رُوِيَ «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»..».

مَنْهَاجُ الْبِرَاعَةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ج ٢١، ص: ٣٩٤:

قَالَ الْمَصْنَفُ: «وَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»..».

مُسْتَدْرَكُ سَفِينَةِ الْبَحَارِ، ج ١٠، ص ٣٧٥:

نَقَلَ الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ سَابِقاً فِي سَفِينَةِ الْبَحَارِ

أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ، ج ١، ص ٣٠١:

ذَكَرَ الْمَقُولَةَ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ سَنَدَهَا تَحْتَ عُنْوَانِ الْمَخْتَارِ مِنْ كِتَابِ الشَّهَابِ لِلْبَحْرَانِيِّ وَمِنْ تَحْفِ الْعُقُولِ لِلْحَسَنِ بْنِ شُعْبَةَ الْخَلْبِيِّ وَغَيْرَهُمَا مِنْ حُكْمِهِ الْقَصِيرَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الْكَشْكُولُ لِلشَّيْخِ الْبَهَائِيِّ، ج ١، ص ٢٤٦:

قَالَ الْمَصْنَفُ: «... وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»..» دُونَ أَنْ يَذْكَرَ لَهَا مَصْدَرٌ.

الْخَزَائِنُ لِلنَّرَاقِيِّ، ص ٤٨٧ و ٥٢٨.

وَقَدْ أَشَارَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَقُولَةَ لَمْ تَوْجَدْ فِي الْمَصَادِرِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمَعْتَبَرَةِ، كَمَا أَتَتْهَا لَمْ تُذْكَرْ فِي الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ، وَأَمَّا مَنْ أَوْرَدَهَا مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ فَقَدْ أَوْرَدَهَا مَرْسَلَةً.

وقفة تأمل في رواية
«حبّ الوطن من الإيمان»

21

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

إنّ هذا الحديث كثير ما تتناقله وتسطره ألسن وأقلام خفافيش الليل والظلام الذين لا يتمكنون من السباحة الاجتماعية والسياسية والفكرية إلا في فكر ونظريات الليل والظلام لتثبيت نظرية باطلة أو تدعيم فكرة جاهلية.

إنّ هؤلاء هم الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون، وتراهم يخوضون فيما يجهلون، ويدعون العلم بما لا يعلمون، فيسحرون أعين السذج وأذان البلهاء^(٢) من الناس بمكر الإفك، وقول الزور من خلال أخطبوط إعلام الطاغوت؛ إنّ هؤلاء الشعراء هم المنظّرون لرجس الوطنية، وهم الذين ينسجون لها فلسفةً أو هنّ من بيت العنكبوت ليُرَضُوا بها أربابهم من الطواغيت، وكأنّ الوطنية إلهٌ لا بدّ أن يُعبَدَ من دون الله، وأمّا عقيدتهم في الأخوة الإيمانية ووحدة الأمة الإسلامية فهي عندهم أوهام وخرافات وأساطير.

(١) سفينة البحار، ج ٨، ص ٥٢٥.

(٢) جمع أبله.. يقال هو رجلٌ أبْلَهُ: مَنْ كَانَ بَعْقِلِهِ ضَعْفًا، وَغَلِبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ.

ولكنهم سيحملون يوم القيامة على ظهورهم أوزارهم من الفلسفة الوطنية، وأوزار البغاوات الذين اتبعوهم بتعمية عقولهم، وصفقوا لهم من دون علم ولا دليل ولا بصيرة ولا برهان، إنَّ المصير الذي ينتهي إليه دعاة الوطنية وأتباعهم هو الخزي والسوء، ودخول أبواب جهنم لتكون مثوى لتكبرهم وعدم تراجعهم عن فكر الضلال؛ وأمَّا المصير الذي ينتهي إليه دعاة الأخوة الإيانية، ووحدة الأمة الإسلامية فهو دار ووطن المتقين جنات عدن لهم فيها ما يشاؤون.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ * قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

إن خفافيش الليل والظلام يتخذون رواية «حب الوطن من الإيمان» قاعدةً لبناء السقف لفلسفة الولاء للوطن والوطنية، ليمكروا كما مكرت الخفافيش من قبلهم وليخدعوا ويغرروا به الهمج الرعاع من الناس.

إننا نبشرهم بأن هذا الحديث موضوعٌ ولا أصل له (٢)، فلا يوجد كتاب واحد يعنن رواية هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؛ فكلٌّ مَنْ نقله قال: روي، ولكن مَنْ الراوي؟ وَمَنْ روى عنه أو عن الذي روى عنه وهكذا؟ لا أحد يعرف راوياً واحداً غير روي (٣).

فالحديث مرفوعٌ بل البعض من الشيعة رفعه دون معرفة المروي عنه هل هو الرسول أو أحد الأئمة، لا يعرف! فلا يوجد أصل معتبر لهذا الحديث يُعتمد عليه للاحتجاج به؛ فالحديث ساقط عن الاعتبار سنداً وعن الحجية ظـ شرعاً عند

(١) النحل، ٢٢-٣٢.

(٢) راجع الهامش ١ : ص ٢٢٠.

(٣) الرُّويُّ : الضعيفُ.

جميع علماء الطوائف الإسلامية من دون استثناء^(١)، وبهذا نقتلع بنيان الوطنية من القواعد ليخر على خفافيش الليل والظلام سقف الوطنية من فوقهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

ولو سلمنا جدلاً بصدور الحديث عن الرسول ﷺ، وغرضنا النظر عن سند الحديث وأنه ساقط عن الحجية

(١) قال الصغاني في (الموضوعات): موضوع، وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة): لم أقف عليه.

قال الألباني في (الضعيفة) عند حديث (حب الوطن من الإيمان): موضوع، كما قال الصغاني وغيره، ومعناه غير مستقيم

قال بدر الدين الزركشي الشافعي: لم أقف عليه. [الدرر المنتشرة: ص ١٩٧]

وقال شمس الدين السخاوي: لم أقف عليه. [المقاصد الحسنة: ص ١٠٠]

وقال جلال الدين السيوطي: لم أقف عليه. [الدرر المنتشرة]

وذكره الفتني (٩٨٦ هـ جرية) في تذكرة الموضوعات [١١/١] ونقل كلام الحافظ السخاوي.

وقال الغزي أحمد بن عبد الكريم: ليس بحديث. [الجد الخيبي في بيان ما ليس بحديث: ص ٨٥]

وذكره أبو المحاسن القاوجي في [اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع] ونقل كلام السخاوي والزركشي.

وقال الزرقاني في [مختصر المقاصد الحسنة: ص ٣٦١]: لا أعرفه.

وقال علي القاري الهروي: لا أصل له عند الحفاظ. [المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: رقم ١٠٦]

وقال محمد الأمير المالكي: لم يُعرف. [النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية: ص ٥٢ رقم ١٠٣]

وقال أبو عبد الرحمن الحجوري: حديث باطل. [شرح لامية ابن الوردي: ص ١٥٤]

(٢) النحل، ٢٦.

والاعتبار، وبحثنا الجانب الدلالي للحديث بمعينة الآيات القرآنية، والروايات الواردة من أهل بيت النبوة ﷺ فسوف نصل إلى الأمور التالية:

١. إنَّ الحُبَّ الذي يغرسه الوحي في قلوب متبّعيه هو الحب الذي ينبعث من الفطرة السليمة، وينسجم مع العقل الرشيد، ولا بد أن يكون حياً ذا أهداف سامية وفوائد نامية، وليس حياً عبثياً يتولد من الأهواء أو الشهوات، أو منافياً لقيم الإسلام أو مبادئه، فيكون حياً ناقضاً للأخوة الإيمانية أو وحدة الأمة الإسلامية؛ ولذلك لا يمكن أن يكون المراد بالوطن في الحديث هو التراب بما هو تراب في المساحة الجغرافية التي وُلد الإنسان عليها أو عاش فيها لأنّه لا قيمة تفضيلية لها في المنظومة الشرعية إلى درجةٍ يجعل الشارع المقدس حبّها من الإيمان، ومن دون هذا الحب يكون إيمان المؤمن ناقصاً، وإنّما المراد بحب الوطن في الحديث هو حب الوطن الإسلامي الذي يتجاوز ويتعالى على الجغرافيا والتاريخ، ولا يمكن أن يُحدَّ بهما.

وإنّما هو الوطن الإسلامي بما يجسّده من منظومة قيمية متكاملة وشاملة لجميع أهداف الإنسان وأبعاده وحاجياته، لأن الإنسان هو الأصل بعد أصالة القيم الرسالية، ولا بد أن تكون كلّ الأشياء والموجودات بما فيها الوطن من أجل

الإنسان وفي خدمته؛ فحب هكذا وطن وحفظه والدفاع عنه هو حبٌّ وحِفظٌ للقيم الإسلامية والإنسانِ ودفاعٌ عنهما ولذلك يكون حبّه من عمق الإيمان.

وأما إذا كان الوطنُ وطنَ الشرك والكفر والنفاق، أو وطن الظلم والجور والعدوان والطغيان، فإنّ حب هذا الوطن من جنسه كفر أو نفاق أو ظلم أو عدوان، وليس من الإيمان في شيءٍ.

٢. وإذا غضضنا النظر عن تعاليم الشريعة وأهدافها، فلا مناص لنا إلا بتفسير حب الوطن بمعنى حب أهل الوطن الذين تحلّوا بالعدل والإحسان وفعل الخيرات، أو الأماكن المقدسة في الوطن كالكعبة المشرفة والمسجد الحرام في مكة المكرمة، وحمّل الوطن في الرواية على الوطن اللغوي العرفي، وهو المحل الذي يقيم فيه الإنسان بحدود جغرافية محدودة؛ وهكذا وطن لا يمكن فطرياً أن يجبه الإنسان إلا إذا وجد فيه بقعة مباركة تربطه بالله سبحانه وتعالى، أو وجد الأمن والسلامة فيه، ووجد إحسان أهل الوطن إليه، وتمكّن فيه غالباً من تحقيق أهدافه وحاجياته ومصالحه، كما يقول الرسول ﷺ: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»^(١)، وفي الحديث: «البلاد بلاد الله، والعباد

(١) تحف العقول، ص ٣٧.

عباد الله؛ فحيثما أصبت خيراً فأقم»^(١).

ومع ذلك لا يكون حب هذا الوطن من الإيمان إلا إذا تجسّد الحب بالعمل الاجتماعي من صلة الرحم، وكفالة اليتيم، وإعانة الضعيف، وإطعام الفقير، والإحسان لأهل الوطن، والتصدّي لحل مشاكلهم وتسهيل حاجياتهم، وتجسّد بالعمل الرسالي، من تطهير البيئة الاجتماعية من الانحرافات السلوكية والفكرية، وغرس الرؤى الرسالية والمبادئ السماوية، والأفكار الإسلامية والمعارف الإلهية في قلوب أهل الوطن ليهدوا إلى الصراط المستقيم، وهذا هو المراد من الحب في الحديث وليس المراد بالحب الولاء للوطن أبداً.

(١) نهج الفصاحة، ص ٣٧٧.

البصيرة القرآنية للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني

22

الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني عنوان يكثر تداوله، وكأنه الضرورة التي تحقّق الأمن والسعادة والرفاه للإنسان، ومن يخالف أو يعارض الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني يُوصم بالخيانة والتخريب والعمالة للخارج؛ وأمست الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني سلاحاً ترفعه السلطة السياسية في وجه معارضيها لقمعهم، وأمسى الوطن كأنه إله يعبد من دون الله تعالى؛ ولذلك يجب على المواطن أن يعلن الولاء للوطن، ويغرّد في كلّ أقواله وأفعاله على أنغام الوطن، ويجاهد ويضحى بهاله ونفسه وعقيدته فداء للوطن.

ونسج المفكرون استجابة لشهوة الحاكم، وطاعة لهوى السلطان النسيج تلو النسيج لنسج نظرية وفلسفة عن الوطن والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، بل هرولت بعض الزعامات وبعض النُخب وبعض المعارضة المسوخة تُنظّر للوطنية تقليداً للسلطة السياسية أكثر من تقليد البيغاء، وباتوا ملكيين أكثر من الملك، وكأن الوطنية وحي منزل من السماء لا بدّ من الصدع والتبشير بها، وتكفّفوا ليّ الروايات وتأويل

الآيات بزيغ القلب لتأييد بل وإيجاب الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني؛ لِيُكْفَرُوا عما مضى من سنين المعارضة وليستجدوا بعض فضلات السلطة السياسية لتركم وتلوّث ما بقي من رؤاهم وسلوكياتهم، وليثبتوا ما يستحيل تصديقه وهو الولاء للسلطة السياسية، ولكن ما عسانا أن نقول لهم إلا ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ ابْتِغَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

ودون رضاهم خرط القتاد^(٢)، وتبليط البحار لأن رضاهم يستحيل أن يتحقق إلا ببيع الدين والانسلاخ من العقيدة، ولا يرغب في المستحيل إلا الجاهل كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رَغْبَتُكَ فِي الْمُسْتَحِيلِ جَهْلٌ»^(٣).

والسؤال المحرج للسلطة السياسيّة إذا كانت تملك ذرة من الحياء لتشعر بالخرج، وكلّ الزعامات والنخب والمعارضة المسوخة التي تنفق أو تنبح بالوطنية والوحدة الوطنية

(١) البقرة، ١٢٠.

(٢) دونه خرط القتاد: مثل يضرب للشيء لا يُنال إلا بمشقة عظيمة. وخرط في حديثه: كذب.

القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية، ويسمى في السودان الحشّاب، ومنه يستخرج أجود الصمغ ومن بعض أنواعه يُستخرج الكثيراء.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١، ص ٣٨٦.

والولاء الوطني؛ هو:

ما هو التعريف الدقيق والواضح للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني؟ وما هو المقصود منها؟

* هل الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي الولاء للسلطة السياسية؟

وبالتالي تقزيم وانكماش وتذويب المجتمع أجمع في شخص الحاكم الطاغي أو الطغمة الحاكمة، وهذا يعني عبودية الجميع لهوى الحاكم الطاغي أو الطغمة الحاكمة، وبالتالي على الجميع أن يقبل العبودية إشباعاً لشهوة الحاكم الطاغي أو الطغمة الحاكمة.

* أم أنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي الإيمان والالتزام بدستور فُصِّلَ وَخِيطَ على مقاس ولباس الحاكم الطاغي أو الطغمة الحاكمة؟

* أم أنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي تذويب المعتقدات والمذاهب في مذهب وعقيدة الطاغوت الذي يمسك بالسلطة؟

* أم أنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي اختزال كل مكونات الشعب وأطيافه وتاريخه في همجية سلطة الطاغوت المتخلفة والرجعية؟

* أم أنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي الخنوع والعبودية لقبيلة سلطة الطاغوت، والتي أبرز خصاها الجهل والطغيان، والتبع للتخلف والانحطاط؟

* أم أنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي الإيمان والالتزام بدستور يحقّق الكرامة والعدالة والحرية والأمن للجميع؛ فأين هذا الدستور؟

* أم أنّ الوحدة الوطنية هي روابط ونسيج اجتماعي يشترك في التطلعات والأهداف، أو لا أقل يشترك في تبادل الإحساس والشعور بالمساواة الإنسانية، فأين هذا المجتمع؟

* والسؤال الآخر: ما هي الدواعي التي تحتم علينا الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني؟

* هل هي الرؤية المشتركة؟ وما هي هذه الرؤية؟

* أم هو المصير المشترك؟ وما هو هذا المصير المشترك؟

* أم هي الثروة المشتركة؟ وما هي هذه الثروة المشتركة؟

* أم هي المصلحة المشتركة؟ وما هي المصلحة المشتركة؟

* أم هي العقيدة المشتركة؟ وما هي العقيدة المشتركة التي اختصت بها بعض أرض الجزيرة العربية دون باقي الأمصار؟

كلّ ذلك لا وجود له ولا لأشباهه، ولم يبقّ داع للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني إلا الأوهام التي لا تنمحي

من أذهان وتفكير أصحاب السلطة والمصالح الذاتية التي تكثرش^(١) على حساب عموم الناس من جانب، والسراب الذي يعشعش في أذهان وتفكير المنسلخين والمنهزمين من جانب آخر.

لا ريب أن الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني التي ينبح بها أهل السلطة السياسية وعشاقها ليس المراد منها الوحدة التي تكُون لبنة وعتبة لبناء وحدة الأمة الإسلامية، وليس المراد منها حتى الوحدة لحدود جغرافية، كما أنه ليس المراد منها وحدة الوطن بالمعنى اللغوي والعرفي.

وإنما المراد منها الوحدة التي تحقق الولاء السياسي للسلطة الحاكمة الظالمة، أو النظام الحاكم الطاغوي والتبعية والخضوع له.

ولأن الوطن أُخْتِزِلَ في الحاكم الطاغوي أو السلطة السياسية أمسى الوطن هو الطاغوي والطاغوي هو الوطن، واندى كل من الطاغوي والوطن في الآخر، فلا وطن من دون الطاغوي ولا طاغوي من دون الوطن بل إن الوطن وما فيه ما هو إلا ملك الطاغوي والناس عبيد له؛ ولذلك يرفض الطاغوي كل دعوات الإصلاح ويبطش بالمصلحين ويستهزئ بهم، لأن

(١) من الكرش: البطن الضخم، ورجل أكرش: عظيم البطن، استكرش: عظمت كرشه.

دعوات الإصلاح تتناقض وملكيته المزعومة للوطن وما فيه، وبدعوات الإصلاح سيتحرر الوطن من ملكية وتسلب الطاغية واستبداده.

ومن أجل بقاء تسلط الطاغية على رقاب العباد يقوم باختلاق مقارنة مغلوبة بينه وبين المصلحين، ليوهم الناس بأنه هو الإله والسيد على هذا الوطن ولا يوجد إله وسيد غيره، فهو الذي يملك الوطن وما فيه من خيرات، فالجبال والبحار والصحراء والبراري وما فيها من النفط والمعادن والخيرات كلها ملك له، وبالتالي فهو الذي رزق ويرزق المواطنين رزقهم ولا رازق سواه، وأمّا المصلحون فلا يملكون مالا يُقَوِّمُون به اقتصاديات الوطن، ولا يملكون جيشاً من المرتزقة يحمي الوطن - وهو الطاغية - من المعارضة الداخلية، ولا يملكون رجال أمن ومخابرات من المسوخين يردعون من يفكر أو يحلم بتجاوز الطاغية، ولأنّ الناس تنظر إلى الأمور من خلال شهوة بطنها «اقتصاديات» ومن خلال هاجس الخوف والرعب «الترهيب الأمني» يتمكن الطاغية من الاستخفاف بعقولهم واستعبادهم.

فالوطن هو الحاكم الطاغية، والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني تعني الطاعة والعبودية للحاكم الطاغية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَمَلَيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيَاتِنَا إِذَا هُمْ
مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ
يَنْكُثُونَ * وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي
هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ * فَلَمَّا أَسْفُونَا ائْتَمَّمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿١﴾.

ومفهوم الوطن والوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني
في مصطلح الطاعى يعني شرعة العبودية، ومنهاج الغاب
الذي ينسج قوانين الاستبداد ونظم الطغيان ودماسير الجور
وتشريعات العدوان، فالوطن والوطنية والوحدة الوطنية
والولاء الوطني ليس إلا الطاعى وشريعته ومنهاجه.

فلا رأي ولا قانون ولا تشريع إلا ما تقياه هوى الطاعى
وشهوته وهو الرشد والرشاد بزعم الطاعى، وما سواه غي
وفساد ولو كان مُنَزَّلًا من ربِّ الأرباب، يقول الله سبحانه
وتعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا

مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١﴾.

إنَّ الطاغِي يقوم بالترهيب والترغيب لشراء ذمم وضمائر
العلماء والمفكرين والمثقفين، ثم يمسخهم ويحولهم إلى أبواق
لسلطته تطبل بالوطنية وتزمر بالوحدة الوطنية وتنهق بالولاء
الوطني، فيستخف بهم عقول المجتمع فيطيعونه، فيخرجون
من استقامة السلوك واعتدال التفكير إلى فسق الموقف
وسفاهة الرؤية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ
فَطَاغُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٢).

إنَّه من المؤسف والحسرة على العباد أنهم يتبعون رأي
الطاغي، ويخضعون لقوانينه التي تطينت بسفاهة الوطنية،
وغبي الوحدة الوطنية، ولم تحوِ ذرة رشده، وسيتجرع الذين
يتبعون سفاهة الطاغِي، ويتراقصون على نغمات الوطنية
والوحدة الوطنية والولاء الوطني شراب الذل وطعام العبودية
في الدنيا، وشراب الحميم وطعام الزقوم في الآخرة، يقول الله
سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقَدِّمُ قَوْمَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الوِرْدُ المَوْرُودُ * وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً

(١) غافر، ٢٩.

(٢) الزخرف، ٥٤.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١﴾.

إنّ الوطنية والوطن والوحدة الوطنية والولاء الوطني هو الطاغي والدستور الذي فُصّل على مقياس الطاغي ليستعبد الناس ويحميه من استرداد حقوقهم وحرّياتهم؛ ولذلك فإنّ كلّ دعوة تخالف رأي الطاغي وتسلّطه ستكون دعوة تهدّد الوطنية والوطن والوحدة الوطنية والولاء الوطني، وكلّ رأي يدعو إلى الحرية والخروج من ربقة العبودية للطاغي سيحكم عليها الطاغي بأنها دعوة لتخريب وتمزيق وطنكم أيها الملأ، والتعبير بوطنكم للإغراء والخداع وليبان أنّ استرداد الناس لحقوقهم وحرّياتهم لن يطيح بمصالح الطاغي فقط، وإنّما سيطيح بمصالحكم أيضاً أنتم أيها الملأ، يا من تملأون أعين الناس بمناصبكم أو أموالكم أو وجاهتكم أو.... التي ما كنتم تبلغونها لولا منّة الطاغي عليكم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٢).

وهنا ينجح الطاغي في تكريس ثقافته في هواجس الملأ أصحاب الكروش الذين يقومون بدور البغاء تقليداً حرفياً للترويج لمقولات الطاغي إلى الناس، فبعد أن باع عليهم

(١) هود، ٩٦-٩٨.

(٢) الشاعر، ٣٤-٣٥.

الطاغي بضاعته الفاسدة يقومون ببيعها على الناس، وبنفس المنطق والهواجس الطاغوتية؛ للإغراء والخداع، ولتخويف الناس من دعوات المصلحين وأن هذه الدعوات التي تدعو إلى استرداد حقوقكم وحریاتكم ما هي إلا دعوات لتخريب وتمزيق وطنكم، وستضر بمصالحكم وأمنكم و... الذي ما كان له من وجود لولا حكم الطاغي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(١).

وهنا تنطلي اللعبة والخديعة على السذج من الناس فبدل أن يقفوا في صفِّ المصلح ودعوته لتحريرهم تراهم ببعوات يكرزون الثقافة التننة والفكر الضال والرؤية الجاهلية والموقف السفية والسلوكيات الطفيلية التي اختلقها الطاغي، وأوحاها إلى الملاء بزخرف القول غروراً، ونسجها بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني والكذب والخديعة التي أُشْرِبَتْ في قلوب الملاء الذين قاموا بإعادة المونتاج لنسيج الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني على الناس؛ والغريب أن الهمج يتفوهون بها بنفس منطق وهواجس الملاء والطاغي.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَأْتِكُمْ لَاتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ * فَتَنَّا زُكُورًا

(١) الأعراف، ١٠٩-١١٠.

أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ
 أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى *
 فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿١﴾.

وستبقى آثار الثقافة الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني التي أشربها الطاغوي قلوب الناس من حب العجل أي الطاغوي ومن شهوة البطن وهاجس الخوف في تفكير الناس حتى بعد تحرّره من سلطة الطاغوي؛ ولذلك تراهم يحنون إلى شهوة البطن والوطنية التي هي أدنى، ويستبدلون بالكرامة والحرية وسعة الأرض التي هي خير، وإن لم يتخلّصوا بعد تحرّره من الطاغوي من شهوة البطن وهاجس الخوف والوطنية، فسوف يعودون إلى المربع الأول، حيث الذلّ وتسلّط طاغ جديد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَّبْرَحَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢﴾.

إن الملاء من الناس الذين أشربت قلوبهم ثقافة حب العجل

(١) طه، ٦١-٦٤.

(٢) البقرة، ٦١.

التي نسجها الطاغوت من معيارية شهوة البطن، ومعيارية الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، ومعيارية القبيلة، ومعيارية العشيرة، ومعيارية الجاه، ومعيارية المال، إن هؤلاء حينما يسلبهم الطاغوت مواقعهم، أو يخرجهم من أوطانهم؛ سيسمعونك صراخاً يطالب بمقاتلة الطاغوت، من أجل الوطن والمجتمع؛ ولكن إذا جدَّ الجدَّ ستجد أن أكثر هؤلاء يتراجعون، ويولّون الدُّبر، ويخلدون إلى الدعة والراحة، ولن يدافعوا عن الوطن، ولا عن الوحدة الوطنية ولا عن الولاء الوطني، وسيروجون ثقافة الضعف والعجز وعدم الطاقة والقدرة على مقارعة الاحتلال الغاشم، أو الطاغوت الحاكم.

ولكن ستكون هناك فئة قليلة صابرة تؤمن بالله ووعده بنصر رسله والمجاهدين في سبيله، ستؤتد^(١) وتثبت أقدامها في طريق ذات الشوكة إلى أن تهزم الطاغوت بإذن الله تبارك وتعالى، ولولا هذه الفئة لفسدت الأوطان، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً

(١) أو تَدَّ الوَتْدَ: بَيَّنَّهُ ودَعَّمَهُ.

مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ
مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ
مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا
اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ *
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا
وأنصرنا على القوم الكافرين * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ
وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ *
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾.

وكلمة الديار في هذه الآية والآيات الأخرى تعني الوطن
بالمعنى اللغوي العرفي الذي مرَّ تعريفه.

إن الذين أشربت قلوبهم حب الوطن سيبيتون أسراء
وعبيداً للوطن، ويمسّون أبعاد الناس عن الخير ونهج السماء
والصراط المستقيم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا

عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا *
وَإِذًا لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا *
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ
الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿١﴾.

إن الطاغوت الذي يرى نفسه هو الوطن ورب الوطن ومالك الوطن وإله الوطن، وهكذا طواغيت الاحتلال سيقومون بمطاردة وقتل وإخراج وتسفير القيادات والمصلحين وأتباعهم من أوطانهم؛ لأن المصلحين يهددون العروش المزيّفة للطغاة، وتهديد عروش الطغاة هو تهديد للوطن والوحدة الوطنية والولاء الوطني في ثقافتهم وفلسفتهم.

ولمواجهة منهج وثقافة الطاغية حرم القرآن على كل المؤمنين أن يتولوا الطاغوت الذي أخرج قيادتهم من وطنها، ولا يجوز لهم حتى مودته فضلاً عن موالاته لأن هذا الطاغوت المستبد أو المحتل لو تمكن منكم سيسيء لكم بالقول والفعل ما لم تؤمنوا بثقافته وفلسفته الطاغوتية، وللمؤمنين أسوة في نبي الله إبراهيم عليه السلام والذين معه الذين تبرؤوا من الطاغوت؛ فأخرجهم من الوطن ولم يتنازلوا عن قيمهم ومبادئهم، يقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي
سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ
يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَخُدَّهِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ
تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ .

إنَّ المجتمع الإيماني مجتمع واحد تذوب فيه الأنفس لتكون نفساً واحدة، والوطن الإسلامي وطن واحد لجميع المسلمين وغيرهم من المسالمين؛ ولكن دعاة الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هم الذين يقطعون المجتمع الإيماني إلى زبر وأحزاب، ومن ثمَّ يخرجون فريقاً من المؤمنين من أوطانهم، ويتآمرون عليهم بالإفساد والعدوان بل يسلمونهم إلى الأعداء.

إنَّ القيم الرسالية والمبادئ السماوية هي الأصل، ولقد جَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ القيم الرسالية وشرَّع التشريعات الإلهية من أجل كرامة الإنسان والحياة الطيبة له؛ ووحى السماء هو الأصل على كلِّ الأشياء، وللإنسان أصالة على الأشياء بعد أصالة القيم الرسالية والتشريعات الإلهية، ولذلك جعلت الأشياء وسُخِّرَت الأرض كلها بجميع أوطانها لأجل الإنسان، ومتى ما تعارضت القيم الرسالية والمبادئ السماوية مع الأرض فضلاً عن بقعة وطنٍ منها كانت الحاكمة للقيم وتفقد الأرض قيمتها، ولن يجد الإنسان الكرامة ولن يجيأ الحياة الطيبة، ولن يكون للإنسان إنسانية إلا بقيمه الرسالية، ومبادئه السماوية، ولذلك يضحِّي الإنسان الكريم بوطنه دفاعاً عن قيم الرسالة، ووحى السماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرُوا أَنِّي بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ

جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الثَّوَابِ * لَا يَغْرَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١﴾.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يدافع عن المؤمنين الذين ضحَّوا
بأوطانهم دفاعاً عن قيم الرسالة ومبادئ السماء ليحافظوا على
صروح الإسلام ومنارات التوحيد ومعالم الدين.

وهؤلاء الذين ضحَّوا بأوطانهم هم أنصار الله، وهم الذين
يستحقون نصر الله لأنهم إذا تمكنوا من حكم الأوطان قاموا
بتسيخ التوحيد وحكموا بالحق، وبسطوا العدل، ونشروا
الفضائل، واقتلعوا الرذائل، وعمَّروا الديار، وأصلحوا العباد،
يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا
رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ
وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا

(١) آل عمران، ١٩٥-١٩٨.

الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^(١).

وحيثما يصدّق المجاهدون يتحقّق الوعد الإلهي حيث ينصر الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين الذين أخرجوا من أوطانهم لأنهم يدافعون عن قيم الرسالة ومبادئ السماء، فيعودون إلى أوطانهم منتصرين على الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويُجْرَجُ وَيُعَدُّ الطاغوي وأعوانه من الأوطان؛ ومثال ذلك في وقتنا المعاصر ينطبق على الإمام الخميني قدس سره والمجاهدين معه الذين أخرجهم الشاه المعبور من وطنهم، ثمّ عادوا منتصرين وحكموا البلاد وأخرجوا الشاه وأتباعه من الوطن.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * وَمَا

أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ
مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١﴾.

ومثال آخر هو العراق في الجملة لتحقيق وعد الله بنصر
المؤمنين الذين أُخرجوا من أوطانهم لأنهم يدافعون عن قيم
الرسالة ومبادئ السماء فيعودون إلى أوطانهم متتصرين على
الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويحكمون
البلاد، ويُعذَّبُ الطاغية وبعض أعوانه بالقتل أو السجن،
ويُعفا عن بعض آخر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا *
 وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
 وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا *
 وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾.

ومن السفاهة والجاهلية وقصور العقل أن يُججَم الإنسان
 أهدافه وتطلعاته، ويكرّس جهده وإمكانياته في الوطنية
 والوحدة الوطنية والولاء الوطني لمثلث أو مربع من الأرض
 ويغمض العين عن سعتها ورحبها؛ فيضيع قيمه الرسالية
 ومبادئه السماوية ويخسر آخرته ورضوان ربه، يقول الله
 سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ
 قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
 اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *
 إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً
 وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا
 غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً
 وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ
 وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢﴾.

(١) الأحزاب، ٢٣-٢٧.

(٢) النساء، ٩٧-١٠٠.

وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ»^(١)، وورد في الحديث: «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله؛ فحيثما أصبت خيراً فأقم»^(٢)، فكل أرض يجد الإنسان فيها أمنه العام والشامل يحق له أن يتخذها وطناً دون تفضيل بينها إلا بما تُقدِّمه لخدمة الإنسان وأهدافه وحاجياته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرًا إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(٣).

والخلاصة:

لا يوجد في تشريع السماء عنوان بمسمى الوطنية، أو وحدة الوطن، أو الوحدة الوطنية، أو الولاء الوطني؛ نعم هناك وحدة الأمة الإسلامية، والأخوة الإيمانية التي تتجاوز وتعالى على الجغرافيا والتاريخ والسلالة، والولاء لأولياء الله، ولذلك لا يجوز رفع شعار الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني ولا الدعوة إليها، ويحرمُ حرمةً مُغلَّظةً التنظير والفلسفة للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.

ويجب على كلِّ الذين نظَّروا وكتبوا وفلسفوا للوحدة الوطنية والولاء الوطني أن يستغفروا ربهم، ويتوبوا إليه قبل

(١) نهج البلاغة، حكمة ٤٤٣.

(٢) نهج الفصاحة، ص ٣٧٧.

(٣) يوسف، ٩٩.

أن تتحوّل أعمالهم إلى هباء منثورٍ، يقول الله سبحانه وتعالى:
 ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ
 لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدْ مَنَا إِلَىٰ مَا
 عَمَلْنَا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(١).

الولاء لله
ولا ولاء للوطن

23

إنَّ الولاء لا يكون إلا لمن له الولاية، والولاية تعني السلطة والسيادة المطلقة في كل شيء، ومن له الولاء والولاية تكون له السلطة والسيادة والعبودية والخضوع والتسليم والطاعة في كل شيء، وهذه لا تكون إلا لله وحده سبحانه وتعالى، ولقد جعل الله الولاء والولاية -فيما عدا العبودية التي لا تجوز إلا لله وحده سبحانه وتعالى- في الواقع الخارجي لثلاث جهات حصراً امتداداً لولاية الله، وتجسيداً للولاء والولاية لله ومن خلالها يتحقق التجسيد العملي والحقيقي للولاء والولاية لله، وجهات الولاء والولاية هي:

١ . الولاء والولاية لوحي السماء:

وقيم الرسالة السماوية، والقرآن هو الوحي الإلهي الذي له السلطة والسيادة والخضوع والتسليم والطاعة في كل شيء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

٢. الولاء والولاية للرسول ﷺ :

لأن الرسول هو المؤمن على وحي السماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

وهو القرآن الناطق، وله السلطة والسيادة والعبودية والخضوع والتسليم والطاعة في كل شيء امتداداً لولاية الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢).

٣. الولاء والولاية لأولي الأمر:

وهم أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين قرَنَ الله طاعتهم بطاعته وبطاعة رسوله ﷺ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣).

وأهل البيت عليهم السلام هم فقط الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن أجمع، ولم يدع أحد علم القرآن كله إلا أهل البيت عليهم السلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ

(١) النجم، ٣-٤.

(٢) النساء، ٨٠.

(٣) النساء، ٥٩.

مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ
يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾.

وأهل البيت عليهم السلام هم فقط الذين يستنبطون من القرآن
كل ما تحتاج إليه البشرية من أحكام أو رؤى أو مواقف، ولم
يدع أحد القدرة على الاستنباط من القرآن كل ما تحتاج إليه
البشرية إلا أهل البيت عليهم السلام يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا
جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى
أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

ولهم السلطة والسيادة والخضوع والتسليم والطاعة في كل
شيء امتداداً لولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي هي امتداد لولاية الله
سبحانه وتعالى.

فالولاء والولاية العامة والمطلقة لهذه الجهات الثلاثة
حصراً لا غير، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٣)،
ولا ولاية عامة ومطلقة لغير هذه الجهات الثلاثة مها كانت

(١) آل عمران، ٧.

(٢) النساء، ٨٣.

(٣) المائدة، ٥٥.

منزلتهم.

نعم هناك ولاء وولاية عامة للفقهاء الربانيين امتداداً لولاية أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «يَنْظُرَانِ إِلَى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَنَظَرَ فِي حَالِنَا وَحَرَامِنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَلْيَرِضُوا بِهِ حَكْمًا فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا اسْتَخَفَّ بِحُكْمِ اللَّهِ وَعَلَيْنَا رَدٌّ وَالرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ»^(١).

وكتب الإمام الحجة عليه السلام: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(٢).

ولكن هذه الولاية ليست ولاية مطلقة، وإنما هي ولاية مقيدة بقيود الدين والعقيدة وما يتمخض منها من قيم الرحمة الإنسانية وإقامة القسط والعدل وإرساء دعائم الحق، نعم هي ولاية شبه مطلقة كما أن هذه الولاية مشروطة بما طابق الحق فقط، يقول الإمام علي عليه السلام: «فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ»^(٣).

وتتسع هذه الولاية باتساع نسبة الفقاها بكتاب الله وبنسبة القدرة على العمل به، وتضيق بضيقها، يقول الإمام

(١) الكافي، ج ١، ص ٦٧.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٣) نهج البلاغة، رسالة ٣٨.

علي عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ»^(١).

كما أن هناك ولايات خاصة ومقيدة كولاية الأب على أولاده القاصرين، والولاية على السفهاء، والولاية على المجانين، وما شابه ذلك، لكن هذه الولايات ليست مورد بحثنا، لخصوصيتها ومحدوديتها، وهي ولايات محدودة ومخصوصة وضيقة جداً، ومشروطة بشروط متعددة؛ ومورد البحث هو الولاية العامة المطلقة منها، وشبهه المطلقة.

الولاية العامة

إن الولاية العامة ولايتان:

- ولاية حق وهدى

- وولاية باطل وضلال

ولاية الحق والهدى: هي ولاية الله عز وجل التي تُخرج الإنسان من ظلمات الحياة الخبيثة التي أحيطت بالتموج والاضطراب، ومن ظلمات الجهل وهو وحل السفاهة والضلال، ومن ظلمات الهوى وهو مستنقع الوحشية والظلم إلى نور الحياة الطيبة التي أحيطت بالسكينة والاطمئنان، وإلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣

نور العلم وهو مشكاة الرشد والهدى، وإلى نور العقل وهو القلب النابض بالرحمة والعدالة.

وولاية الباطل والضلال: هي ولاية الطاغوت التي تُخرج الإنسان من نور الحياة الطيبة، ونور العلم والعقل إلى ظلمات الحياة الخبيثة، وظلمات الجهل والهوى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «جَمِيعُ الْمَعَايِشِ^(٢) كُلُّهَا مِنْ وُجُوهِ الْمُعَامَلَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِمَّا يَكُونُ لَهُمْ فِيهِ الْمَكَاسِبُ أَرْبَعُ جِهَاتٍ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ: ...»

فَأَوَّلُ هَذِهِ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ: الْوَلَايَةُ وَتَوَلِيَّةُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَالْأَوَّلُ وَلايَةُ الْوَلَاةِ، وَوَلَاةُ الْوَلَاةِ إِلَى أَدْنَاهُمْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْوَلَايَةِ عَلَى مَنْ هُوَ وَالٍ عَلَيْهِ..»^(٣)

ثم قال عليه السلام:

«وَكُلُّ هَذِهِ الصُّنُوفِ تَكُونُ حَالاً مِنْ جِهَةٍ وَحَرَاماً مِنْ جِهَةٍ؛ وَالْفَرَضُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الْمُعَامَلَاتِ الدُّخُولُ فِي جِهَاتِ

(١) البقرة، ٢٥٧.

(٢) أي معاش العباد.

(٣) تحف العقول، ص: ٣٣١.

الْحَلَالِ مِنْهَا، وَالْعَمَلِ بِذَلِكَ الْحَلَالِ، وَاجْتِنَابِ جِهَاتِ الْحَرَامِ مِنْهَا»^(١).

وأضاف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«.. وَهِيَ^(٢) جِهَتَانِ:

١. فَاخْدَى الْجِهَتَيْنِ مِنَ الْوَلَايَةِ: وَوَلَايَةُ الْوَلَاةِ الْعَدْلِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَلَايَتِهِمْ، وَتَوَلَّيْتَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَوَلَايَةُ وُلَاتِهِ، وَوَلَاةُ وُلَاتِهِ إِلَى أَدْنَاهُمْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْوَلَايَةِ عَلَى مَنْ هُوَ وَوَالٍ عَلَيْهِ.

٢. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْوَلَايَةِ: وَوَلَايَةُ الْوَلَاةِ الْجَوْرِ، وَوَلَاةُ وُلَاتِهِ إِلَى أَدْنَاهُمْ بَاباً مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي هُوَ وَوَالٍ عَلَيْهِ.

فَوَجْهُ الْحَلَالِ مِنَ الْوَلَايَةِ:

وَلَايَةُ الْوَالِي الْعَادِلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَوَلَايَتِهِ، وَالْعَمَلِ لَهُ فِي وَوَلَايَتِهِ، وَوَلَايَةُ وُلَاتِهِ، وَوَلَاةُ وُلَاتِهِ، بِجِهَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْوَالِي الْعَادِلُ بِإِزْيَادَةٍ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ وَلَا نُقْصَانٍ مِنْهُ، وَلَا تَحْرِيفٍ لِقَوْلِهِ، وَلَا تَعَدُّ لِأَمْرِهِ إِلَى غَيْرِهِ؛ فَإِذَا صَارَ الْوَالِي وَالِي عَدْلٍ بِهَذِهِ الْجِهَةِ فَالْوَلَايَةُ لَهُ، وَالْعَمَلُ مَعَهُ، وَمَعُونَتُهُ فِي وَوَلَايَتِهِ وَتَقْوِيَّتُهُ حَلَالٌ مُحَلَّلٌ، وَحَلَالٌ الْكَسْبُ مَعَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِي وَوَلَايَةِ الْوَالِي الْعَدْلِ وَوَلَاتِهِ إِخِيَاءَ كُلِّ حَقٍّ وَكُلِّ عَدْلٍ، وَإِمَاتَةَ كُلِّ ظَلَمٍ وَجَوْرٍ وَفَسَادٍ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ السَّاعِي فِي

(١) تحف العقول، ص: ٣٣١-٣٣٢.

(٢) أي الولاية.

تَقْوِيَةَ سُلْطَانِهِ وَالْمُعِينُ لَهُ عَلَى وِلَايَتِهِ سَاعِيًا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، مُقْوِيًا لِدِينِهِ .

وَأَمَّا وَجْهُ الْحَرَامِ مِنَ الْوِلَايَةِ:

فَوِلَايَةُ الْوَالِي الْجَائِرِ، وَوِلَايَةُ وِلَايَتِهِ، الرَّئِيسِ مِنْهُمْ، وَأَتْبَاعِ الْوَالِي فَمَنْ دُونَهُ مِنْ وِلَاةِ الْوِلَاةِ إِلَى أَدْنَاهُمْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ هُوَ وَالِ عَلَيْهِ، وَالْعَمَلُ لَهُمْ، وَالْكَسْبُ مَعَهُمْ بِجِهَةِ الْوِلَايَةِ لَهُمْ حَرَامٌ وَمُحَرَّمٌ، مُعَذَّبٌ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى قَلِيلٍ مِنْ فِعْلِهِ أَوْ كَثِيرٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةِ الْمَعُونَةِ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي وِلَايَةِ الْوَالِي الْجَائِرِ دَوَسَ الْحَقِّ كُلَّهُ، وَإِحْيَاءَ الْبَاطِلِ كُلَّهُ، وَإِظْهَارَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالْفُسَادِ، وَإِبْطَالَ الْكُتُبِ، وَقَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَهَدْمَ الْمَسَاجِدِ، وَتَبْدِيلَ سُنَّةِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ؛ فَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْعَمَلَ مَعَهُمْ، وَمَعُونَتَهُمْ، وَالْكَسْبَ مَعَهُمْ إِلَّا بِجِهَةِ الضَّرُورَةِ نَظِيرَ الضَّرُورَةِ إِلَى الدَّمِ وَالْمَيْتَةِ»^(١).

كتب الإمام الباقر عليه السلام في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية: «وَأَوَّلُ ذَلِكَ الدُّعَاءُ»^(٢) إلى طاعة الله عزوجل من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد، وليس الدعاء من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثله»^(٣).

(١) تحف العقول، ص: ٣٣٢.

(٢) أي الدعوة.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٣.

إنَّ الولاء للوطن إمَّا أن يكون بمعنى الولاء والولاية لقيعة أرض، وبالتالي فهو ولاء وولاية للجهاد، وهو شبيه بعبادة المشركين للأصنام الحجرية، وإمَّا أن يكون الولاء للوطن بمعنى الولاء والولاية للنظام السياسي الجائر، وبالتالي فهو ولاء وولاية للطاغوت السياسي، وإمَّا أن يكون الولاء للوطن بمعنى الولاء والولاية للنظام الاجتماعي الجاهلي، وبالتالي فهو ولاء وولاية لطواغيت المملأ الاجتماعي من الحكام الفاسدين والعلماء المنافقين والوجهاء المستكبرين والأغنياء المترفين؛ والولاء والولاية لكلّ هذه الجهات هو مخالفة بيّنة لما أنزل الله سبحانه وتعالى، واتخاذ وأتباع لأولياء من دون الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

إنَّ اتِّخاذ الحكّام السياسيين القائمين على النظام السياسي الجائر، والغاصبين للولاية السياسية من أهلها، وكذا اتخاذ السلطات الاجتماعية من المملأ الاجتماعي من الحكام الفاسدين، والعلماء المنافقين، والوجهاء المستكبرين، والأغنياء المترفين، القائمين على النظام الاجتماعي الجاهلي والغاصبين للولاية الاجتماعية من أهلها هو تجسيد فعلي لعدم أتباع ما أنزل الله سبحانه وتعالى من تشريعات سياسية أو اجتماعية، وهو تطبيق عملي لاتخاذ وأتباع أولياء من دون الله سبحانه وتعالى، وهذا

(١) الأعراف، ٣.

من الكفر ببعض الكتاب، والنهاية والمصير لهؤلاء الكفار هي العذاب العظيم في جهنم والعياذ بالله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(٢).

إنَّ الولاء والولاية للتراب، أو الولاء والولاية للنظام السياسي الجائر، أو الولاء والولاية للنظام الاجتماعي الجاهلي، هو ولاء وولاية من دون الله بل هو عبودية لغير الله سبحانه وتعالى، والطاعة لكل تلك الجهات ضلال وعبودية لغير الله سبحانه وتعالى؛ وكل ذلك حرام محرم، بل هو من كبائر الذنوب وأشد المحرمات والموبقات المهلكة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾^(٣).

وبكلمة إن الولاء والولاية للوطن الترابي، أو الولاء

(١) الجاثية، ١٠.

(٢) الكهف، ١٠٢.

(٣) الفرقان، ١٧-١٨.

والولاية للوطن السياسي الجائر، أو الولاء والولاية للوطن الاجتماعي الجاهلي ما هو إلا ولاء وولاية لبيت العنكبوت؛ لأن مثل هذه الأنظمة في ضعفها ووهنها وهشاشتها كمثل بيت العنكبوت الذي لا يحتاج لإزالته ومحوه من الوجود لأكثر من نفخة من فم؛ وكل من يعلن الولاء والولاية لبيت العنكبوت السياسي الجائر، أو بيت العنكبوت الاجتماعي الجاهلي ما مثله إلا مثل العنكبوت في ضعفه ووهنه وهشاشته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وإن الولاء والولاية للوطن الترابي، أو الولاء والولاية للوطن السياسي الجائر، أو الولاء والولاية للوطن الاجتماعي الجاهلي ما هو إلا دعاء من دون الله، ولن يتمكن أصحابه من حجب الشمس عن أهل البصر، ولن يتمكنوا من إطفاء نور الله عز وجل؛ وبكلمة نقول: ضعف الطالب الموالي، وضعف المطلوب الموالي؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^(٢).

(١) العنكبوت، ٤١.

(٢) الحج، ٧٣.

الوطنية
في دولة الرسول ﷺ

24

لم تكن الجزيرة العربية قبل الإسلام دولة واحدة بل كانت دويلات متعدّدة؛ فهنا دولة وهناك دولة أخرى وإن لم تكن كما هي دول اليوم، وكما أنّ دول اليوم تختلف عن الدول قبل خمس مائة سنة ولكن كلاً منها كانت تتوفر فيها العناصر الأساسية الأربعة للدولة: من الأرض والشعب والسلطة والنظام الخاص بها.

فمكة دولة قائمة بذاتها لها زعماءؤها، والمدينة دولة قائمة بذاتها لها زعماءؤها، والطائف دولة قائمة بذاتها لها زعماءؤها، وهكذا نجران والبحرين واليمن... وبعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة واتخذها وطناً له، ولم يكن قبل ذلك من مواطنيها - وبالخصوص حسب المصطلح والمفهوم السياسي اليوم الذي جرّد الكثير ممن يعيش في وطن واحد من الوطنية، وخصها بمن يكون عبداً لهوى الحاكم، أو قوانين الفئة المتسلطة - ولكنه ما أن دخلها حتى أصبح زعيمها الأوحده، وما كانت زعامة الرسول جبراً أو كرهاً وإنّما كانت برضا أغلب المواطنين الذين سمّاهم الله تعالى بالأنصار، وسمّى من هاجر إلى المدينة بالمهاجرين

-وكلاهما مواطنون في لغة الإسلام، بل وفي المصطلح اللغوي العرفي خلافاً للمصطلح والمفهوم السياسي اليوم، وحقوقهم في الأرض وغيرها من الثروات والحقوق سواء، ولا فضل لأحدٍ على أحد- فبالال الحبشي، وصهيب الرومي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمهاجرون من مكة ومن غيرها كلهم مواطنون، والمدينة وطنٌ لهم، وهم وأهل المدينة سواء في الحقوق، ولم يُفَضَّل ولا يجوز أن يُفَضَّل أحد من الأنصار لأنه من المدينة على أحد من المهاجرين لأنه من مكة أو غيرها؛ أما في المصطلح السياسي لدول القمع والاستبداد سيسيى المهاجرين غرباء وأجانب أو محتلين، وسيسيى الأنصار عملاء للخارج، وسيتهمهم بارتكاب الخيانة العظمى لأنهم سلّموا أرضهم ووطنهم للخارج فلا وطنية لهم، بل هم مجرمون يستحقون السجن والتعذيب والقتل وكلّ أصناف التعذيب والإهانة.

وحيىأ أراد المنافقون زرع نكرة الشقاق بتخصيص الوطنية لأهل المدينة وتجريد الآخرين من الوطنية وعزموا على إخراج الرسول ومَنْ هاجر معه - كما نشاهده في كلّ دول العالم اليوم ومن دون استثناء بما فيها الدول التي تدّعي أنها إسلامية- ولكن المشيئة الإلهية أبتْ إلا أن يكون المعيار والمقياس والميزان للعزة هو الانتساب إلى الإيمان وليس الانتساب إلى الأرض، وأهل الإيمان هم أهل الأرض، وهم أولى بالوطن، يقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ولأن الإيمان هو المعيار لأحقية وألوية التوطن كان للمؤمنين كامل الحق في إخراج المتأمرين على الإسلام من الوطن، وتجريد هم وسلب عنوان الوطن والتوطن عنهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِنِئْنِ أَخْرَجْتُمْ لِنَخْرُجَنَ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لِنِئْنِ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلِنِئْنِ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلِنِئْنِ نَصَرُوهُمْ لِيُوَلِّنَ الْأَذْبَارُ نَمَّ لَا يَنْصُرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

(١) المنافقون، ٨.

(٢) الحشر، ١١-١٧.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(١).

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرِ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَفَاخُرَهَا بِأَبَائِهَا، أَلَا إِنَّكُمْ مِنْ آدَمَ عليه السلام وَآدَمُ مِنْ طِينٍ؛ أَلَا إِنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ عَبْدٌ اتَّقَاهُ، إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَبِ وَالِدٍ، وَلَكِنَّهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ؛ فَمَنْ قَصَرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُبْلَغْ حَسْبُهُ، أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ إِخْنَةً^(٢) فَهِيَ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ؛ كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»
قالوا: نعم.

(١) الأحزاب، ٢٦-٢٧.

(٢) الإخنة الشُّحْنَاءُ.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ٢٤٦.

قَالَ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(١).

وعنه عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ؛ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٢).

وعنه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْإِسْلَامَ دِينَهُ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ حُسْنًا لَهُ؛ فَمَنْ اسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَشَهِدَ شَهَادَتَنَا، وَأَحْلَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَهُوَ مُسْلِمٌ، لَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا»^(٣).

لقد أرسى وشيّد الإسلام مفاهيمه وتعاليمه على أساس العقيدة الإيمانية المتحرّرة من قيود الزمان والمكان، وليس على أساس الدولة أو القومية أو الوطن أو الوطنية، وهذا هو سر بقاء الإسلام والتشيع؛ لأن موطنه القلب المفعم بالإيمان، والذي لا يزول بزوال الدول، أو بخراب الأوطان، بل يتمكن من البقاء في جميع الأحوال ببركة مفهوم التقية، وما تعتقده القلوب وتحفظه الجنان، لا ما تُكره عليه الجوارح ويتفوه به اللسان.

(١) تحف العقول، ص ٣٤.

(٢) معدن الجواهر ورياضة الخواطر، ص ٢١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٨٨، وفي كتاب الجعفریات (الأشعثيات)، ص ٧٨، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْإِسْلَامَ زِينَةً، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ حُسْنًا لِلدَّمَاءِ؛ فَمَنْ اسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَشَهِدَ شَهَادَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَهُوَ مُسْلِمٌ، لَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا».

والتاريخ أكبر شاهد على ذلك حيث يدوّن في صفحاته ما لا يحصى من الدول والأوطان التي زالت واندثرت، بل يدوّن في صفحاته حضارات سادت ثم بادت حتى لم يبقَ لبعضها من أثر.

ولكن الإسلام والتشيع في ازدياد ومُكْنَة حتى في أعتى الدول التي تحاربه وتسعى لاستئصاله.

كلّ ذلك لأنه عقيدة إيمانية، وموطنها القلب الذي هو حرم الله تعالى ولا يزول، وليس بسلطان ملك يزول بزوال الدولة.

الموقف المبدئي
بعد وضوح الرؤية الرسالية
ومعرفة الحكم الشرعي

25

الآن وبعد أن اتّضحت لنا الرؤية الرسالية، بأنه لا يوجد في تشريع السماء عنوانٌ بمسمى الوطنية، أو وحدة الوطن، أو الوحدة الوطنية، أو الولاء الوطني يكون الإنسان على بينة وبصيرةٍ من أمره، ويتحمّل مسؤوليّة رؤيته وموقفه.

نعم هناك ولاية الذين آمنوا، ووحدة الأمة الإسلامية التي تتجاوز وتتعالى على الجغرافيا والتاريخ والسُّلالة وأما الكلام بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني فما هي إلاّ عصبية جاهلية بالذات عندما يستخدمها الطغاة من أجل التضييل وتثبيت العروش بظلم واغتصاب وبلا شرعية فهذه ما أنزل الله بها من سلطان؛ وإنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني ما هي إلاّ اتخاذ الحاكم الطاغوي رباً يُعبَدُ بطاعته من دون الله عزّ وجلّ، والهدف من الوطنية والوحدة الوطنية ترهيب الأحرار والمجاهدين والمصلحين، وتقطيع أمة التوحيد إلى أوصال متناثرة، وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية إلى أحزاب متناحرة، واستئصال الأخوة الإيمانية واستبدالها بأخوة الطغيان؛ وبعد أن عرفنا الحكم الشرعي بأنّه لا يجوز رفع شعار الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، إذا كانت

هي مجرد دعوات مبطنة لعبادة الطاغوت فإنه لا يجوز الدعوة إليها أيضاً، ويجرمُ حرمةً مغلظةً التنظيرُ والفلسفة للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني إذا كان يراد من خلاهما تكريس حكم الطاغوت وتجذير سلطته وعبوديته على الناس، فما هو موقفنا العملي من الوحدة الوطنية والولاء الوطني؟

الجواب في بنودٍ عدة:

١. الصدع والتبشير والدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية والأخوة الإيمانية، وولاية أولي الأمر من الصالحين والربانيين، بمختلف الوسائل والسبل المشروعة والتأكيد على تطبيق الآيات والروايات التي أكّدت على ذلك.

٢. محاربة الدعوة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني كلُّ بقدر إمكانياته بالطرق المشروعة، وكشف الزيف والمكر والخداع الذي تستبطنه الدعوات لعبادة الطاغوت تحت يافطات الوطنية، وبيان الأضرار والخسائر التي أفرزتها وتفرزها هذه الثقافة الجاهلية.

٣. محاورة الدعاة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، ونصيحتهم بعدم الاستكبار على الحق، ومن ثمّ العودة والاستكانة إلى الحق، وإصلاح ما أفسدوه قدر الإمكان.

٤. فضح الأقلام المأجورة أو المنهزمة التي تستكبر وتعاند

وتصر على تكريس مشروع عبادة الطواغيت من خلال
يافطات وشعارات الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني.
ويجب على كل الذين نظّروا وكتبوا وفلسفوا للوطنية
والوحدة الوطنية والولاء الوطني باعتبارها أفنعة لعبادة
الطاغوت أن يستغفروا ربهم ويتوبوا إليه قبل أن تتحوّل
أعمالهم إلى هباء منثور، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ
اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى
يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدْ مَنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ
عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(١).

إنّ الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني ما كانت
ولن تكون مقدمةً لوحدة الأمة الإسلامية حقيقية، ولا يمكن
أن تجتمع معها وهما على طرفي نقيض، لأنّ منبع الوطنية
والوحدة الوطنية والولاء الوطني: الهوى، والثقافة الجاهلية،
ومصالح المألأ، وعروش الطواغيت، ومنبع وحدة الأمة
الإسلامية: العقل، وثقافة السماء، والمصلحة لجميع المؤمنين،
وحكمة القيادات الرسالية.

ومن يُصِرُّ على الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني
كأقنعة لتغطية سوءات الطغاة فهو إمّا كافر ببعض الكتاب
حينما يجعلها بدلاً عن وحدة الأمة الإسلامية وأخوة الإيمان

(١) الفرقان، ٢١-٢٣.

فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإما هو ظالم حينما يصدر حكماً ضد مَنْ يكفر بالوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني، أو يدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية والأخوة الإيمانية أو يتخذ موقفاً سلبياً منه، وإما هو فاسق حينما يتخلق بسلوكيات الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني وهو يعلم بأنها مجرد أعطية ومساحيق تجميل لوجوه الطغاة المجرمين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنْ أَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ
ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١﴾.

مسك الختام

26

قد لا نتمكن من القفز على الواقع مرة واحدة، ولكننا نتمكن من القفز عليه درجة ثمّ درجة أخرى وهكذا دواليك؛ وبدلاً من تغني شعراء الطاغوت بالوطنية، وبالوحدة الوطنية، وبالولاء الوطني، وأن يعزفوا على سيمفونياتها ليلاً ونهاراً وجعلها أهم وأوجب من الوحي الإلهي، فليصدع صناع أقنعة عبادة الطواغيت من دعاة الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني بالوحدة التدريجية لتوحيد العالم العربي والعالم الإسلامي، من خلال وحدة ودمج بعض الدول المتلاصقة جغرافياً والمتجانسة اجتماعياً ولو في الجملة. ويمكن البدء مثلاً بتوحيد مصر مع السودان، والصومال مع أريتيريا وجيبوتي، ثمّ توحيدهم جميعاً مع جزر القمر، تحت اسم دولة النيل، وكذلك توحيد تونس مع ليبيا، وموريتانيا مع الصحراء الغربية، والجزائر مع المغرب، ثمّ توحيدهم جميعاً تحت اسم دولة المغرب العربي، ثمّ توحيد دولة النيل مع دولة المغرب العربي تحت اسم دولة الولايات العربية الأفريقية.

وهكذا يمكن البدء من جانب آخر بتوحيد شبه الجزيرة

العربية مع البحرين والكويت، وعمان مع اليمن، والإمارات مع قطر، ثمّ وحدتهم جميعاً تحت اسم دولة الجزيرة العربية، وكذلك توحيد لبنان مع سوريا، والأردن مع فلسطين، ثمّ توحيدهم جميعاً مع العراق تحت اسم دولة الهلال الخصيب، ثمّ توحيد دولة الجزيرة العربية مع دولة الهلال الخصيب تحت اسم دولة الولايات العربية الآسيوية.

ثمّ يمكن إكمال الوحدة العربية بتوحيد دولة الولايات العربية الأفريقية مع دولة الولايات العربية الآسيوية تحت اسم دولة الولايات العربية المتحدة.

وهكذا يمكن توحيد بعض دول العالم الإسلامي مع بعض آخر إلى أن يتوحد العالم الإسلامي تحت اسم دولة الولايات الإسلامية المتحدة.

لا ريب أن الزعامات المنهزمة والملاّ المسوخ وأبواق الطاغوت وشعراء الوطنية وأتباعهم الغاوين لن يروا في الأطروحة إلاّ أحلاماً وردية وأنه لا يمكن تحقيق شيء منها.

ولكن لن يكون قول شعراء الوطنية وأبواق الطاغوت والملاّ المسوخ والزعامات المنهزمة إلاّ شبيهاً بقول المنافقين الذين سخروا من رسول الله ﷺ حينما ضرب بالفأس وتطايّر الشرر، وأعلن عن تهاوي عروش الظلمة أمثال كسرى الفرس وقيصر الروم وتبّع اليمن تحت أيدي المسلمين، يقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١).

وسوف تتحقق الوحدة العربية والإسلامية ولو في المجمل بإذن الله تعالى حينما تنتفض المجتمعات وتزيل غبار الغفلة عن أعينها، وترمي الأضر وتسقط عن أبصارها أقنعة عبادة الطغاة التي جاءت باسم الوطنية وأغلال الوحدة الوطنية، وتُرغَم أنوف الطغاة الذين قطعوا أوصال الأمة الإسلامية إلى دويلات كارتونية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢).

ولكن هذا النصر الإلهي مشروط بتطهير المؤمنين لأنفسهم من جميع الحميات والعصبيات الجاهلية ليكونوا من أهل التقوى الذين ينصرون الله ينصرون الوحي الإلهي والقيم الرسالية ومبادئ السماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٣).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) البقرة، ١١٨.

(٢) غافر، ٥١.

(٣) محمد، ٧.

الشهيد آية الله النمر في سطور

- ولد الشهيد آية الله الشيخ نمر باقر النمر عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، في بلدة العوامية، إحدى مدن محافظة القطيف بالمنطقة الشرقية.
- ينتمي سماحته إلى عائلة رفيعة القدر في المنطقة برز فيها علماء أفذاذ وأدباء ومثقفون، وخطباء حسينيون.
- ترك الشهيد من الأبناء ابناً واحداً هو (محمد) وثلاث بنات، وقد وافت المنية زوجته بعد معاناة مع مرض السرطان، وهو في معتقله بالرياض عام ١٤٣٣ هـ فكان بعيداً عنها حتى آخر لحظات حياتها.
- أكمل دراسته في مدينة العوامية إلى مرحلة الثانوية؛ ثم هاجر إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية طلباً للعلوم الدينية في عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)، فالتحق بحوزة الإمام القائم عجل الله فرجه، العلمية في مدينة طهران، التي تأسست على يد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقى المدرسي، في ذات العام، والتي انتقلت بعد قرابة العشر سنوات إلى منطقة السيدة زينب عليها السلام بسوريا.
- أبرز اساتذته؛ سماحة المرجع المدرسي، وأيضاً سماحة آية الله السيد عباس المدرسي، وسماحة آية الله الخاقاني، وسماحة آية الله الشيخ وحيد الافغاني.

- وقد بلغ سماحته مرتبة الاجتهاد، وإلى جانب مرتبته العلمية المرموقة، لم ينقطع الشهيد عن ممارسة مسؤولياته التربوية والتثقيفية والاجتماعية، مازجاً بذلك بين العلم والعمل.
- ويعد سماحته من خيرة المدرسين في الحوزة العلمية، حيث قام سماحته بتدريس المقدمات للعديد من الطلبة في الحلقة العلمية، ومن ثم بدأ بتدريس السطوح، والمكاسب، والرسائل، والكفائية، كما قام بتدريس كتاب اللمعة الدمشقية مرات عديدة في الحوزة العلمية في إيران وسوريا، كما وُدِّرَسَ كتاب جامع المدارك، ومستمسك العروة الوثقى، وحلقات الأصول، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، وغيرها من الدروس الحوزوية.
- تخرجت على يديه ثلة من العلماء الأفاضل الذين مارسوا ويمارسون الأدوار الدينية والاجتماعية والقيادية في مجتمعاتهم.
- لقد أكد الشهيد النمر أهدافه وغاياته من وراء معارضته للنظام الحاكم منذ البداية، ألا وهي؛ خدمة المجتمع وتحكيم القيم والمبادئ السامية، وأن يعيش الجميع بكرامة وسلام، لذا ما أن وطأت رجلاه أرض بلده العزيز، بعد سنوات من الهجرة، حتى انطلق في مشاريعه التنموية والتثقيفية، في مدينته؛ العوامية وسائر المدن في المنطقة الشرقية. ويمكن الإشارة الى بعض هذه المشاريع:

- إحياء دور المساجد: ومن ضمنها جامع الإمام الحسين عليه السلام بحى الزارة في العوامية، وبعد أن كان المسجد مهجوراً أصبح متميزاً في نشاطاته وفعالياته، والذي سُمي بعد توسعته بجامع الإمام الحسين عليه السلام.
- صلاة الجماعة: حرص سماحته على إقامتها في جميع الفرائض بما فيها صلاة الفجر التي تثقل الناس عنها، وخلت بعض المساجد منها تماماً، وساهمت توجيهاته إلى إقبال شريحة من المجتمع على صلاة الجماعة لاسيما من فئة الشباب، وكان يدفع هذا الأمر بقوة من خلال تحركه وكلماته، كما أنه قام بإشراك المرأة في الصلاة بالحضور والتواجد الفاعل.
- صلاة الجمعة: بادر آية الله النمر لإقامة صلاة الجمعة في عام ١٤٢٤ هـ (٢٠٠٣م) بمدينة العوامية، بعد أن كانت الظروف المحيطة تحول دون إقامتها، سوى من صلاة واحدة تقام في مدينة سيهات، فكان لسماحته الفضل في تكثيفها في المشهد الديني في مدينة العوامية، حيث أقيمت بعدها في مدن صفوى وتاروت والقطيف.
- الإثراء الفكري: فقد كان للشهيد النمر دور بارز في إثراء وتغذية الساحة الإسلامية بالكثير من المحاضرات الرسالية المتنوعة والتي تربو على ٢٠٠٠ محاضرة، بين خطب جمعة وكتابات قصيرة وتأملات في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، من خلال الندوات العديدة، التي لم تكتف في الطرح

الداخلي، بل كان لها الانتشار الكبير في الداخل وكذلك خارج المنطقة وقد تميزت بالطرح المتجدد والجريء في العديد من موضوعاتها.

- **المقالات والنشرات:** للشهيد النمر أطروحات عديدة، توزعت في مقالاته المتنوعة التي نشرت في المجالات والمطويات ومواقع الانترنت وغيرها، وأيضاً أهتم بشكل خاص بالجيل الشاب عبر إصداره قرابة ٣٠ عدداً من نشرة (الشباب والشباب) والتي كان يكتبها بنفسه كاملة، تناول فيها مختلف القضايا الدينية والثقافية والسلوكية والاجتماعية بصبغة معاصرة مما يحتاجه الجيل الشاب.
- **وللمرأة دورها:** سعى الشهيد جاهداً لتفعيل دور المرأة في المنطقة واستثمار طاقاتها في المجالين الديني والاجتماعي، والعمل على صقل كفاءتها وإبرازها في الوسط النسائي، ابتداءً من المشاركة والحضور في صلاة الجماعة في المسجد، مروراً بالمشاركة في البرامج الدينية المختلفة، وانتهاءً بالمشاركة في قيادة المجتمع، وقد تكلم سعيه بالنجاح حيث تخرجت من مدرسته ثلة من الأخوات العالمات الرساليات والقادرات على إدارة العمل الديني والمشاركة في الأنشطة الثقافية من خطابة وكتابة وإدارة.
- **تعديل سلوكيات المجتمع:** عمل الشهيد النمر على مكافحة الاعراف الاجتماعية والتقاليد البالية التي طالما قيدت حركة

المجتمع نحو النمو والتطور، وحمل على عاتقه كسر الآصار والأغلال الاجتماعية السيئة، وتحمل في سبيل ذلك، مقاطعة بعض الفئات الاجتماعية والدينية له، ومحاولة تشويه الصور التي يرسمها عن البديل الأصيل لتلك الأعراف الخاطئة، ووقف بحزم وصدق ضد التجاوزات التي يقوم بها أديعاء الدين باسم الدين من أجل تصحيح المسار ورفع الغبش والضبابية عن عيون المجتمع.

- تيسير الزواج: دعا سماحته إلى تقليل التكاليف الباهظة للزواج، لتزويج العزاب والعازبات، وسعى إلى الإقناع باعتماد (مهر الزهراء سلام الله عليها)، بدلاً من المهور المرتفعة التي يرمي بعوائق الزواج وتكاليفها الباهضة على كاهل الشباب، وتحول دون المساهمة في تسهيل أمور الزواج.
- التعليم الديني: في عام ١٤٢٢ هـ (٢٠٠١م) أنشأ سماحته حوزة دينية لأول مرة في المنطقة الشرقية، إذ كانت بداية انطلاقها باسم (المعهد الإسلامي)، وقد حوت في صفوفها الدراسية الرجال والنساء في قسمين منفصلين، ومن ثم تم استحداث أقسام أخرى وهي: قسم النشء (بنين) ثم (بنات)، والقسم القرآني النسائي، بإدارة وتدریس من طلبة الحوزة وخارجها.
- وكان من نتاج هذا المشروع الحضاري المبارك، تويج عدد من الطلبة على يد سماحته، ليتحولوا إلى علماء دين ويبارسوا أدوارهم الدينية والاجتماعية في المجالات كافة.

- الاهتمام بقضية البقيع: إذ نادى وبصوت مدوي بقضية إعادة بناء أضرحة أئمة البقيع عليهم السلام، وبما أن الحديث عن هذه القضية كان يأتي دائماً من خارج السعودية، بيد أن هذه المرة كسر الشهيد حاجز التحفظ وأطلق دعوته من عقر دار السلطة المصرة على إبقاء مراقد الأئمة الأربعة مهذمة.
- توثيق حقوق الطائفة الشيعية: في عام ١٤٢٨ هـ (٢٠٠٧م) قدم سماحته لئائب أمير المنطقة الشرقية عريضة نموذجية غير مسبوقة - بين يديك - تجسد المطالب الشيعية في البلاد، وقد أثنى على هذه المطالب المراقبون السياسيون والخبراء القانونيون، وعدّوها نموذجاً شجاعاً وصریحاً وأسلوباً يُحتذى به في المطالبة بالحقوق المشروعة.
- دفاعه عن الشعوب ولاسيما عن شعب البحرين: لقد تميز الشهيد بدفاعه الدائم عن قضايا المظلومين في كل مكان، ولقد كان دفاعه عن الشعب البحراني المظلوم النموذج الواضح، فمنذ الأيام الأولى من ثورة شعب البحرين ضد النظام الخلفي الغاصب، كان الشهيد النمر من رواد التضامن والوقوف بقوة إلى جانب هذا الشعب المضطهد في المطالبة بحقوقه المشروعة.

المصادر

- الأَبْشِيهِي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور: المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- ابن طاووس، العلامة السيد رضي الدين علي بن موسى: جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، دار الرضي، الطبعة الأولى، ١٣٣٠ هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري: السيرة النبوية، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتب المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢ م.
- الأمدِي، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٩ م.
- البحراني، المحقق العلامة الشيخ يوسف بن أحمد بن ابراهيم: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، دار المحقق، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- البهائي، الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي: الكشكول، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة السادسة، ١٩٨٣ م.
- پاينده، أبو القاسم: نهج الفصاحة، دنيای دانش، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧ م.
- الحجوري، أبو عبد الرحمن يحيى بن علي: شرح لامية ابن الوردي، مكتبة آل الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

- الحر العاملي، العلامة الشيخ محمد بن حسن: أمل الأمل في علماء جبل عامل، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
- الحر العاملي، العلامة الشيخ محمد بن حسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- الحراني، العلامة الشيخ ابن شعبة الحسن بن علي: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، جماعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- الخوئي، المرجع الميرزا حبيب الله: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وتكملة منهاج البراعة، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٠ هـ.
- الديلمبي، المحدث حسن بن محمد: غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأطهار عليهم السلام، دار دليل ما، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- الريشهري، المحقق الشيخ محمد: حكم النبي الأعظم عليه السلام، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.
- الريشهري، المحقق الشيخ محمد: ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي: مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩ م.
- الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: الدرر المنتشرة، عمادة شؤون المكتبات - جامعة سعود، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب

- العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، عمادة شؤون المكتبات - جامعة سعود، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- الشاهرودي، الشيخ علي النازي: مستدرک سفينة البحار، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- الشريف الرضي، العلامة السيد محمد بن حسين: نهج البلاغة، المجمع العالمي لأهل البيت، الطبعة الخامسة، ٢٠١٠ م.
- الصدوق، العلامة الشيخ محمد بن علي ابن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، نشر جهان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- الصدوق، العلامة الشيخ محمد بن علي ابن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ.
- الصدوق، العلامة الشيخ محمد بن علي ابن بابويه: علل الشرائع، مكتبة داوري، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد الحنفي: الموضوعات، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- الطبرسي، العلامة الشيخ الفضل بن الحسن بن الفضل: إعلام الوری بأعلام الهدى، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠ هـ.
- الطريحي، فخر الدين بن محمد: مجمع البحرين، دار المرتضوي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ.
- الطوسي، شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن بن علي: الأمالي، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- الطوسي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن: مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد، مؤسّسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- العاملي، العلامة السيد محسن أمين: أعيان الشيعة، دار التعارف، ١٤٠٣ هـ.
- الغزوي، أحمد بن عبد الكريم: الجدل الحثيث في بيان ما ليس بحديث، دار

- الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- فتح الله، الدكتور أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدخول، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- الفتني، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي: تذكرة الموضوعات، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٤٣ هـ.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد: كتاب العين، نشر الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
- القاري، علي بن محمد نور الدين الهروي: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ.
- القواقجي، أبو المحاسن محمد بن خليل بن إبراهيم: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- قلعجي، محمد رواس: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.
- القمي، المحقق الشيخ عباس: سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، دار الأسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- الكليني، العلامة الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦ م.
- المالكي، محمد الأمير الكبير: النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
- المجلسي، العلامة الشيخ محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.
- المدرسي، المرجع السيد محمد تقي: التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، دار محبي الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى.

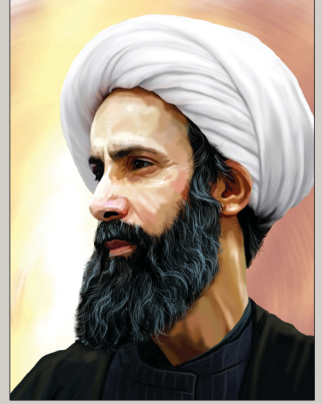
- المدرسي، المرجع السيد محمد تقي: تفسير من هدى القرآن، دار القارئ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
- المصطفوي، الشيخ حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- المظهري، محمد ثناء الله: التفسير المظهري، مكتبة الرشدية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- المفيد، العلامة الشيخ محمد بن محمد بن النعمان: الاختصاص، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- الميانجي، العلامة الشيخ علي الأحمدى: مكاتيب الأئمة عليهم السلام، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- النراقي، الشيخ أحمد بن مهدي: الخزائن، مؤسسة البلاغ، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م.
- النوري، المحقق العلامة الشيخ حسين بن محمد تقي: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

الفهرس

- تقرظ ساحة آفة الله المآهد السفء هاءف المءرفف ٧.....
- تمهفء ١٣
- المءءل ١٩
- معنف الوءءة..... ٢٥
- ءواعف الوءءة وأهءافها..... ٣١
- المعفار الشرعف للوءءة..... ٣٥
- البصرفة القرآنف لوءءة الأرحام ٤٧
- البصرفة القرآنف للوءءة الإنسانفة..... ٥٧
- أقوى العوامل ءءاعفة للوءءة..... ٧٥
- البصرفة القرآنف لوءءة الأمة الإسلامفة ٨٧
- البصرفة القرآنف للوءءة المءهبة ١٠٥
- البصرفة القرآنف لوءءة الأمة المؤمنة ١١٥
- أكرمفة الإنسان وأفضلففه على المءلوءاء ١١٩
- الأصالة والسفءاءة للقفم الرسالفة أولاً وبالءاء ١٢٧
- أهم القفم المعرففة..... ١٣١

- أهم القيم الإنسانيّة ١٥١
- أهم قيم الفرد والمجتمع ١٦١
- أصالة الإنسان وسيادته على القوانين الوضعية والوطن ... ١٧٥
- معنى الوطن في اللغة والعرف ١٩١
- معنى الوطن في المصطلح الشرعي ١٩٩
- العلاقة بين هوية الإنسان والهوية الوطنية ٢٠٥
- ما هو المراد من الوطن في الروايات؟ ٢١١
- وقفة تأمل في رواية «حبّ الوطن من الإيمان» ٢٢١
- البصيرة القرآنية للوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني ٢٣١
- الولاء لله ولا ولاء للوطن ٢٥٥
- الوطنية في دولة الرسول ﷺ ٢٦٩
- الموقف المبدئي بعد وضوح الرؤية ومعرفة الحكم الشرعي ٢٧٧
- مسك الختام ٢٨٥
- الشهيد آية الله النمر في سطور ٢٩١

إنّ الدعوة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني قد تستبطن في أحشائها أهدافاً جاهلية شيطانية نسجها الطاغوت ليقبى مترعباً على كرسي العرش في بيت العنكبوت، وجائماً على صدر المجتمع مُحمداً لأنفاس الأحرار الذين يأمرون بالقسط والعدل؛ لأن حقيقة الدعوة إلى الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني هي عنوانٌ للترهيب والتخدير، وهي قناعٌ لتكوين عبدة الطاغوت، وهي تمزيقٌ للأمم التوحيد، وليست توحيداً للوطن.



ومن أجل بيان الرؤية الثاقبة، والموقف الرشيد، والبصيرة القرآنية، والحكم السديد من الوطنية والوحدة الوطنية والولاء الوطني كان هذا الكتاب.



مؤسسة الشهيد آية الله النمر العالمية
Ayatullah AL-Nimer International Foundation



sknimer.com